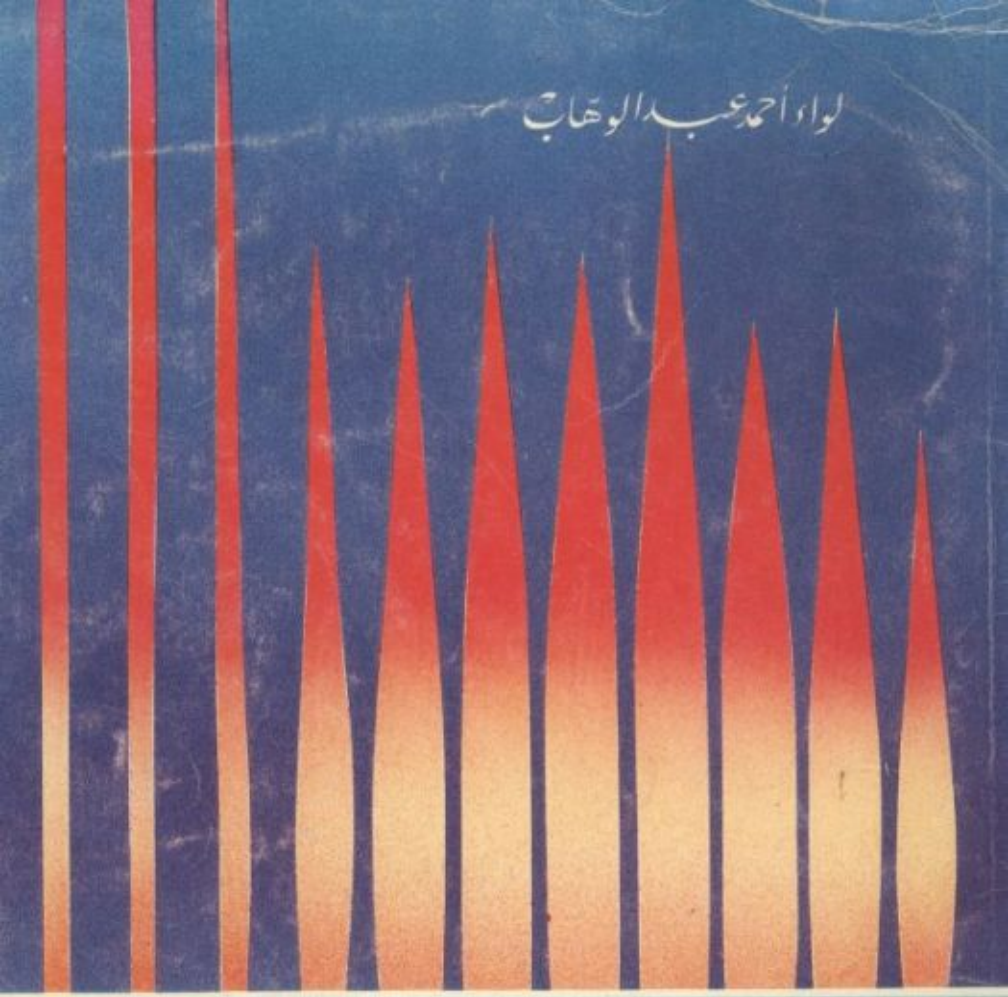

لواء أحمد عبد الوهاب

الإسلام في الفكر الغربي

دين ودولة وحضارة

مكتبة التراث الإسلامي

http://kotob.has.it

الإسلام في الفكر الغربي

دين ودولة وحضارة

http://kotob.has.it

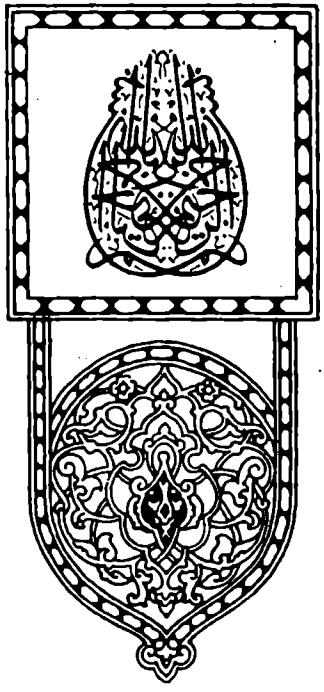

http://kotob.has.it

لواء أحمد عبد الوهاب

الإسلام في الفكر الغربي

دين ودولة وحضارة

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

http://kotob.has.it

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

تعرف الحكمة بأنها صيغة موجزة تعبر عن حقيقة واقعة، أو قاعدة للسلوك والأخلاق.

ومن أمثلة ذلك هذه الحكمة التى تقول: **الانسان عدو ما يجهل.**

ويبين تاريخ الرسالات الإلاهية الكبرى أن أنبياء الله الذين حملوها الى الناس قد تعرضوا لكثير من صنوف الآلام والمحن والعذاب على أيدى الناس الذين حسبوهم من الكاذبين.

وما أفظعها من تهمة، خاصة حين يقذف بها في وجوه أصدق الناس حديثاً. ويزداد الأمر سوءاً وتشتد المحنة عندما يأتى التكذيب والسخرية من الأهل والعشيرة والأصحاب. فهاهى التوراة تقول أن موسى تعرض للنقد الجارح من أخيه هارون وأخته مريم، عندما تزوج ثانية من إمرأة سمراء أعجبته: «**وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية التى اتخذها. لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية.. فحمى غضب الرب عليهما..** فالتفت هارون الى مريم وإذا هى برصاء. فقال هارون لموسى: أسألك يا سيدى، لا تجعل علينا الخطيئة التي جمعتنا وأخطأنا بها ـ سفر العدد ١٢ : ١ ـ ١١»

وهاهو المسيح يشك فيه أقرباؤه ويعتبرونه مختل العقل: «**ولما سمع أقرباؤه خرجوا ليمسكوه، لأنهم قالوا أنه** مختل ـ انجيل مرقس ٣:٢١»

وكان أخوته ـ أبناء أمه مريم حسب رواية الأنجيل ـ يشكّون فيه:

«قال له اخوته: إنتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضا الأعمال التى تعمل.. **لأن اخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به** ـ انجيل يوحنا ٧: ٣ ـ ٥»

وحين سمع كثير من تلاميذه بعض مواعظه، فانهم ارتدوا عنه وتركوا صحبته، فلم يبق معه إلا إثنا عشر حواريا: «قال كثير من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب.. **من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه.** فقال يسوع للاثنى عشر: ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا؟!ـ انجيل يوحنا ٦: ٦٠ ـ ٦٦»

ولقد سجل القرآن الكريم افتراءات الكفار على الإسلام ونبيه. حتى حديث الإفك ضد زوجه عائشة جعله الله قرآنا يتلى، ولو كان الأمر بيد النبى لنحاه جانبا. ولكنه عبد مأمور قال له الله: ﴿ **ليس لك من الأمر شئ** ﴾[1]، إذ ﴿ **إن الأمر كله لله** ﴾[2]. وهذه بعض مفترياتهم على رسول الله والسخرية منه.

إتهامه بالجنون:

﴿ **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون** ﴾[3].

﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون. ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون** ﴾[4].

إتهامه بتأليف القرآن وافترائه كذبا على الله:

﴿ **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون**

---

(١) آل عمران: ١٢٨ (٢) آل عمران: ١٥٤

(٣) القلم: ٥١ (٤) الصافات: ٣٥ـ٣٦

فقد جاءوا ظلما وزورا. وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾[1].

﴿ ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾[2].

السخرية من النبى:

﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾[3].

﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد. أفترى على الله كذبا أم به جنة ؟! ﴾[4].

ولقد كان ما تعرض له محمد رسول الله فى الحرب الدعائية الظالمة، استمرارا لما تعرض له إخوانه السابقون من الأنبياء والمرسلين:

﴿ كذلك ماأتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴾[5].

هذا ولقد دأب الغرب المسيحى ـ بوجه عام ـ على الطعن فى الإسلام ونبيه. وتعرضت سيرة خاتم النبيين الى التشويه والمغالطات والمفتريات على أيدى رجال الكهنوت المسيحى وتلاميذهم من المستشرقين والمنصرين والكتاب ورجال الإستعمار. لقد تنبأ القرآن بهذا الواقع الأليم فقال:

---

(١) الفرقان: ٤ـ٥
(٢) النحل: ١٠٣
(٣) الزخرف: ٣١
(٤) سبأ: ٧ـ٨
(٥) الذاريات: ٥٢ـ٥٣

﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾[1].

ويعرض **فيليب سيناك** فى مؤلفه: «**صورة الطرف الآخر**» بعض ما قيل كذبا عن الإسلام والمسلمين فيقول: «حتى نهاية القرن الثالث عشر كانت أغلب الوثائق المكتوبة عن الإسلام صادرة عن رجال الكنيسة. وهؤلاء كانت حرفتهم الطبيعية نقد ديانة غيرهم وتشويهها، وذلك بالاضافة الى أن المعلومات التى عكستها تلك القرون كانت ضئيلة، وأن أقلية فقط من رجال الدين المسيحى (الاكليروس) كانت تعرف القراءة والكتابة.. لقد وصف المسلمون بأنهم شعب غير مسيحى ينبع أساسا من القوقاز! وقد جاءوا فى اعداد هائلة ليستولوا قسرا وبكل توحش على القدس والاسكندرية وكل افريقيا.. وفى النصف الأول من القرن الثامن استخدمت كلمة: ساراسان، لتعنى المسلم ثم الكافر بوجه عام وأنه محارب عدوانى وثنى»[2].

وفى خطاب رئيس دير الرهبان برنارد دى كليرفو (١٠٩٠-١١٥٣) كتب يقول: «أن يسوع المسيح يقبل عن طيب خاطر موت عدوه الذى يقتص منه فى إنتقام عادل. ان جندى يسوع المسيح عليه أن يقتل إذن وبكل طمأنينة.. انه ليس قتل إنسان ولكنه مكر ودهاء»[3].

ويستمر **فيليب سيناك** فى عرض الصور المشوهة عمدا عن الإسلام

---

(١) آل عمران: ١٨٦

(٢) - Philippe Sénac : L'Image de L'Autre , pp.8,14,24

(٣) المرجع السابق ـ ص ٩٦

والمسلمين فى اوربا القرون الوسطى فيقول أن الكنائس القديمة فى اوربا ـ وخاصة فى فرنسا ـ لاتزال بها الى الآن نقوش تصور المسلمين بالقوم الغلاظ المقاتلين، ذوى بشرة سوداء، ملامحهم غليظة وانوفهم معقوفة وشعورهم مخيفة، وصورهم مفزعة....

ويعرض **جوزيف رينو** فى مؤلفه: «**الفتوحات الإسلامية في فرنسا وايطاليا وسويسرا**» صورا من الجهل والخرافات التى امتلأت بها عقول الاوربيين فى القرون الوسطى عن الإسلام ونبيه والمسلمين، فيسخر منهم ويقول:

«ان الكتّاب المسيحيين فى العصور الوسطى كانوا يطلقون على جميع فئات الغزاة المسلمين اسم: **الوثنيين**. ولا توجد عقيدة أبعد عن الوثنية من الإسلام الذى حطم الأصنام. والواقع ان الإسلام ينادى بعبادة إله واحد لا شريك له، خالق السموات والأرض. ولشدة إستفظاع الإسلام للوثنية، فإنه يمنع تصوير كل ماهو حى .. وقد زعم كاتب التاريخ المنسوب الى رئيس **أساقفة تورين**، أنه يوجد فى الأندلس على شاطئ البحر فوق عمود شديد الإرتفاع، **صنم من البرونز صنعه محمد بنفسه، ويعبده المسلمون!**

كذلك ادعى **فيلومين** فى تاريخه القصصى حول غزوة شارلمان لمقاطعة لانجدوك، أنه كان يوجد تمثال لمحمد مصنوع من فضه مذهّبة فى مدينة **أربونة**، وضع فى معبد أثناء احتلال المسلمين لهذه المدينة.. وقد جاء فى القصيدة الفرنسية التى تروى أعمال البطولة التى قام بها

رولان، أن سكان سرقسطة المسلمة وقع اختيارهم على مغارة لتكون معبد آلهتهم. وأنهم نصبوا فى هذه المغارة تمثالا من الذهب فى يده صولجان وعلى رأسه تاج. وادعى الكاتب أن المسلمين يجتمعون فى هذه المغارة حينما يريدون أن يطلبوا رضا الله!

فيا لسخرية القدر والجهل الأعمى بالإسلام! فإن هولاء الكتاب والأدباء يجهلون أنه عندما فتح محمود الغزنوى الهند فى سنة ١٠٢٥م (٤١٦هـ) حطم جميع أصنام الهند الكثيرة فيما عدا صنما واحدا عرض عليه السكان شراءه بوزنه ذهبا، فرفض عرضهم مفضلا وضعه عند عتبة باب العاصمة الرئيسى لكى يدوس عليه ويبصق عليه كل داخل الى العاصمة وكل خارج منها.

ما هو السبب الذى دفع أباءنا الى هذا الوهم والخطأ ياترى؟!

ذهب بعض العلماء الى أن النورمانديين وغيرهم من الشعوب الوثنية، كانوا ضمن الشعوب التى كان يشملها اسم:**سارازين**، الذين كانوا يعبدون الأوثان.

وهكذا خلط العامة بين المسلمين وهذه الشعوب بصورة مخجلة[1].

إن هذا بعض ماكتبه **جوزيف رينو** (المتوفى فى باريس عام ١٨٦٨) والذى كان أمين المخطوطات الشرقية فى المكتبة الملكية بباريس، وأستاذا

---

(١) الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا - تأليف جوزيف رينو - ص ٢٢١-٢٢٣

للغة العربية فى مدرسة الألسن الشرقية ثم عميدا لها.

لقد كان هذا عرضا لابد منه حتى يعلم **قارئ اليوم** الخلفية الفكرية والثقافية التى ينطلق منها الغربيون، والتراث المظلم الذى يرتدون اليه عند الحديث عن الإسلام والمسلمين. وهو الذى كرّسه المستشرقون خلال عصر الاستعمار الأوربى، ولايزال يتردد الى اليوم ـ على درجات مختلفة ـ فى دوائر البحوث والدراسات الإسلامية ودوائر صنع القرار السياسى فى الغرب.

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارئ يعرض مقالات فى الإسلام لبعض العلماء والمفكرين والمستشرقين فى الغرب، يمكن إعتبارها نماذج لتطور الفكر الغربى فى الإسلام خلال القرنين الأخيرين.

فمن هؤلاء الغربيين من لايزال ـ الى اليوم ـ موثقا بقيود الماضى إلا أن القوة الذاتية للحق أجبرته على أن يقول كلمة حق. ومنهم من حطم تلك القيود تماما، فاعتنق الإسلام وصار واحدا من أفضل دعاته. ومنهم من خلط فى مفاهيمه بين هذا وذاك، **«عسى الله أن يتوب عليهم، إن الله غفور رحيم»** ومنهم من يصرح بانبهاره بالإسلام دينا وحضارة ومنقذا للبشرية، والله **«عليم بذات الصدور»**.

ولقد حرصت على ان يكون أغلب هولاء الغربيين من غير المعروفين لدى القراء بوجه عام، وإن كانوا معروفين فى الدوائر الأكاديمية. كما حرصت على أن أذيّل ترجمة هذه المقالات بنصوص لبعض الفقرات

الحاكمة فى لغتها الأصلية التى أخذت عنها، وهى إما الإنجليزية أو الفرنسية، وكلتاهما من اللغات السائدة فى عالم اليوم. وهذا تقليد سرت عليه فى أغلب أعمالى، وأحسبه ذا فائدة كبيرة لبعض القراء.

وأخيرا، ومهما يكن من شئ، تبقى حقيقتان هامتان:

أما الأولى ـ فقد قررها الدكتور **ميجيل ايرناندث** الأستاذ بجامعة مدريد، وذلك فى بحث له بعنوان: **الجذور الإجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كونتها المسيحية عن النبى محمد**، كان قد قدمه **للمؤتمر الثانى للحوار الإسلامى المسيحى** الذى عقد فى قرطبة بأسبانيا عام ١٩٧٧، وقال فيه: «**لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والإهانة ظلما على مدى التاريخ مثل محمد.** إن الأفكار حول الإسلام والمسلمين ونبيهم محمد استمرت تسودها الخرافة حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى. ولم يمنع الإحتكاك المباشر بين الطائفتين من انتشار هذه الخرافات».

وأما الثانية ـ فسيدركها القارئ بنفسه من خلال هذا الكتاب.

إذ سوف يتبين له بوضوح أن كثيرا من المسلمين اليوم، وعلى رأسهم أغلب من يتصدرون مؤسسات الثقافة والإعلام فى البلاد الإسلامية، إنما يجهلون كثيرا من حقائق الإسلام الذى ورثوه. وانهم فى أشد الحاجة الى تعلم الإسلام أو إكتشافه من مصادره الأصلية التى بين أيديهم، أو حتى التتلمذ على بعض علماء الغرب الذين نقلت عنهم فى هذا الكتاب، والذين يعرفون عن الإسلام أفضل مما يعرف

أبناؤه الجاهلون.

ويكفى أنهم يعرفون يقينا أن الإسلام دين ودولة وحضارة ونظام حياة، لا يعرف الحكومة الدينية (الثيوقراطية)، لأن حكومته مدنية لا عصمة لها. فهى قد تخطئ وقد تصيب. وهى تجتهد فى تطبيق شريعة الله، وتسهر على سيادة المبادئ والقيم الإسلامية فى المجتمع المسلم، مجتمع الكفاية والعدل والكرامة لبنى الإنسان، حتى وإن كان من غير المسلمين. وكيف لا، وقد شهد التاريخ أن محمدا رسول الله وخاتم النبيين، قد وقف إحتراما لميت يهودى. ولما ذكّره بعض أصحابه بذلك وما كان من أمر اليهود مع المسلمين، قال قولته الخالدة: أليست نفسا؟!

وصدق الله من قبل ومن بعد، وحين يقول لنبيه فى القرآن العظيم:

﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد ﴾(١).

﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا، إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾(٢).

أحمد عبدالوهاب

---

(١) سبأ: ٦ (٢) الإسراء: ١٠٧ـ١٠٨

http://kotob.has.it

نظرات إجمالية

بقلم

- مرجليـــــــوث
- مونتجومرى وات
- إدوارد مونتيـــه
- جورج برنارد شو
- هاملتـــون جـب

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

مرجليوث

مستشرق إنجليزى شديد التعصب ضد الإسلام ونبيه. ولد عام ١٨٥٨ وتوفى عام ١٩٤٠م. كان استاذا للغة العربية فى جامعة اكسفورد منذ عام ١٨٨٩، وعضوا بعدة مجامع علمية كالمجمع اللغوى الإنجليزى والمجمع العلمى العربى بدمشق والجمعية الشرقية الألمانية كما كان مرجليوث من محررى «دائرة المعارف الإسلامية». له مؤلفات عديده عن الإسلام، والأدب العربى وتاريخه ومنها كتابه: أصول الشعر العربى، وهو المرجع الذى اعتمد عليه طه حسين فى كتابه عن «الشعر الجاهلى» الذى صدر عام ١٩٢٦.

يقول مرجليوث عن القرآن:

(١)«**باعتراف الجميع، يحتل القرآن مكانة هامة بين الكتب الدينية العظيمة فى العالم.** وعلى الرغم من أنه قد جاء الأحدث فى قائمة مثل هذا النوع من الأعمال التى تعتبر مطلع عهد جديد فى الفكر والتاريخ، فيكاد لا يضاهيه عمل آخر فى تأثيره العجيب الذى أحدثه فى جموع هائلة من البشر. لقد خلق طورا جديدا فى الفكر الإنسانى، ونوعا حديثا من الشخصية الإنسانية.

(٢)**ففى بداية الأمر، حوّل القرآن عددا من القبائل**

---

(١) - The Koran admittedly occupies an important position among the great religious books of the world.

(٢) - It first transformed a number of heterogeneous desert tribes of the Arabian peninsula into a nation of heroes.

الصحراوية غير المتجانسة فى شبه الجزيرة العربية الى أمة من الأبطال. ثم واصل، على نحو مطرد، خلق الهيئات الدينية السياسية الكبيرة فى العالم الإسلامى، والتى تعتبر احدى القوى العظمى التى يجب على أوربا والشرق أن يحسبا لها حسابا اليوم»[1].

* *

(١) - G. Margeliouth: Introduction to J.M. Rodwell's: the Koran, New York, Everyman's Library, 1977,p.VII

مونتجمرى وات

رئيس قسم الدراسات العربية فى جامعة أدنبره. له عدة كتب ودراسات منها: من تاريخ الجزيرة العربية (١٩٢٧)، وعوامل إنتشار الإسلام (١٩٥٥)، ومحمد فى مكة (١٩٥٨).

❊

يقول مونتجمرى وات فى كتابه: «**الإسلام والمسيحية اليوم**»:

«لست مسلما بالمعنى المألوف، ومع ذلك فإنى أرجو أن أكون مسلما كإنسان استسلم لله. [١] **بيد أنى أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامى، ينطوى على ذخيرة هائلة من الحق الإلهى، الذى مازال يجب علىّ أنا وآخرين من الغربيين أن نتعلم منه الكثير.**

ومن المؤكد أن الإسلام منافس قوى فى مجال إعطاء النظام الأساسى للدين الوحيد الذى يسود فى المستقبل»[٢].

❊ ❊

---

(١) - I believe that embedded in the Quran and other expressions of the Islamic vision are vast stores of divine truth from which I and other occidentals have still much to learn.

(٢) - M. Watt: Islam and Christianity Today, London, 1983,p.IX.

إدوارد مونتيه

مستشرق من أصل سويسرى ولد عام ١٨٥٦ ودرس فى جامعات جنيف وبرلين وهايدلبرج. حصل على الدكتوراه فى اللاهوت من جامعة باريس عام ١٨٨٣. عيّن استاذا للعبرية والأرامية والعهد القديم فى جامعة جنيف ثم أضيف اليه العربية وتاريخ الإسلام. رأس جامعة جنيف (١٩١٠-١٩١٢). توفى عام ١٩٢٧

يقول إدوارد مونتيه فى كتابه: «**الدعاية المسيحية وأعداؤها المسلمون**»:

(١)«**إن الإسلام فى جوهره دين عقلانى وفق أوسع المعانى لهذا المصطلح من الوجهة الاشتقاقية والتاريخية.** إن تعريف العقلانية، بإعتبارها نظاما يقيم المعتقدات الدينية على مبادئ يدعمها العقل، إنما ينطبق تماما على الإسلام. وعلى الرغم من التطور الخصب، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى، لتعاليم النبى، فقد إحتفظ القرآن بمنزلته الثابتة، كنقطة البداية الرئيسية لفهم الدين، (٢)**وصار يعلن دائما عن عقيدة توحيد الله فى سمو وجلال وصفاء**

---

(١) - Islam is a religion that is essentially rationalistic in the widest sense of this term considered etymologically and historically.

(٢) - The dogma of unity of God has always been proclaimed therein with a grandeur, a majesty, an invariable purity =

دائم مع إقتناع يقينى متميز من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام. إن هذا الإخلاص للمعتقد الأساسى للدين، والبساطة الجوهرية للصيغة التي ينطق بها، والبرهان الذى يكتسبه من الإقتناع الذى يلتهب حماسة لدعاته القائمين بنشره، كل ذلك يقدم أسبابا كثيرة تعلل نجاح مجهودات الدعاة المسلمين.

إن عقيدة بمثل هذه الدقة، ومجردة من كل التعقيدات اللاهوتية، وبالتالى يمكن للفهم العادى أن يتقبلها بسهوله، فمن المتوقع أن تكون لها قدرة عجيبة ـ وهى فى الواقع تمتلك هذه القدرة ـ على إكتساب طريقها الى ضمائر البشر»[1].

* *

= and with a note of sure conviction, which it is hard to find surpassed outside the pale of Islam.

(١) - E. Montet: La Propagande Chrétienne et ses Adversaires Musulmans, Paris 1890, quoted by T.W. Arnold in: The Preaching of Islam, London 1913,pp.313-14.

جورج برنارد شو

كاتب ومفكر أيرلندى. ولد عام ١٨٥٦ وتوفى عام ١٩٥٠ اشتهر بنقده اللاذع للمجتمع البريطانى وخاصة فى عصر الملكة فكتوريا (توجت ملكة عام ١٨٣٧ وتوفيت عام ١٩٠١). وقد بلغت الامبراطورية البريطانية أوجها فى العصر الفكتورى. كذلك اشتهر برنارد شو بنقده للغرب بوجه عام. وقد حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٢٥

يقول جورج برنارد شو:

«لقد كنت دائما احتفظ لدين محمد عندى بأعلى التقدير، وذلك بسبب حيويته المدهشة. إنه الدين الوحيد الذى يبدو لى أنه يمتلك القدرة على استيعاب تغير أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور.

لقد درست محمدا ـ ذلك الرجل العجيب ـ وفى رأيى أنه أبعد ما يكون عمن يسمى ضد المسيح، [١] **ويجب أن يسمى: منقذ الإنسانية.**

إنى أعتقد لو أن شخصا مثله تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر لنجح فى حل مشاكله بطريقة تجلب له ماهو فى أشد الحاجة اليهما من سلام وسعادة.

[٢] **لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا فى أوربا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولا فى أوربا اليوم»** [٣].

---

(١) - He must be called the Savior of Humarity.

(٢) - I have prophesied about the faith of Muhammed that it would be acceptable to the Europe of tomorrow as it is begining to be acceptable to Europe of today.

(٣) - G. B. Shaw: the Genuine Islam, Vol.l, No.81938

هاملتون جب

يعتبر واحدا من أكبر المستشرقين الإنجليز فى العصر الحديث. عضو المجمع العلمى العربى فى دمشق ومجمع اللغة العربية فى القاهرة. وهو استاذ الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة هارفارد الأمريكية ومن كبار محررى وناشرى «دائرة المعارف الإسلامية».

يقول **هاملتون جب** فى كتابه: «**الإسلام إلى أين؟**»:

«لايزال لدى الإسلام فضل آخر يبذله من أجل قضية الإنسانية. فهو يقف، عل كل حال، أقرب الى الشرق أكثر من موقف أوربا منه، كما أنه يمتلك تقاليد رائعة فيما يتعلق بالتفاهم والتعاون بين أجناس البشر. فلم يحرز أى مجتمع آخر ـ غير إسلامى ـ مثل هذا السجل من النجاح فى التوحيد بين ذلك القدر الهائل والمتنوع من الأجناس البشرية بتحقيق المساواة أمام القانون، وتكافؤ الفرص للجميع.

ولايزال الإسلام قادرا على تحقيق مصالحة بين عناصر الجنس البشرى وتقاليدها التى تستعصى على التصالح.

(١)وإذا قدر أن يحل التعاون، يوما ما، محل التعارض القائم بين المجتمعات الكبيرة فى الشرق والغرب، فإن وساطة الإسلام تصبح شرطا لا غنى عنه، إذ يكمن بين يديه، إلى حد كبير، حل المشكلة التى تواجه أوربا فى علاقتها بالشرق»(٢).

---

(١) - If ever the opposition of the great societies of East and West is to be replacced by cooperation, the mediation of Islam is an indispensible condition. In its hands lies very largly the solution of the problem with which Europe is faced in its relation with East.

(٢) - H. Gibb: Whither Islam?, London, 1932,p.379

http://kotob.has.it

نظرات تفصيلية

بقلم:

- هربرت فيشر
- ستيفن رنسيمان
- ادوارد جيبون
- مايكل هارت
- برنارد لويس
- فولتير
- روجيه دي باسكيه
- مارسيل بوازار

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

هربرت فيشر

مؤرخ وسياسى انجليزى. عمل بعد الحرب العالمية الأولى مندوبا مفوضا لدى عصبة الأمم. وفى عام ١٩٢٦ عاد الى جامعة أوكسفورد عميدا باحدى كلياتها (New College) وبقى فى هذا المنصب حتى وفاته عام ١٩٤٠

*

يقول هربرت فيشر فى فصل كتبه عن الإسلام ضمن كتابه: **تاريخ أوربا**:

«لقد وصلنا الآن الى نقطة يصبح عندها تاريخ أوربا معقدا بسبب إنتصارات الدين الإسلامى. ففى خلال القرون الستة الأولى من التقويم المسيحى، ماكان يمكن لأى سياسى متميز فى أوربا أن يجد فرصة لكى يتذكر بلاد العرب. فقد كانت أرض الغموض، تقيم بعض العلاقات التجارية مع سوريا ومصر، وتزود جيوش فارس وبيزنطة ببعض المرتزقة. وكانت فى بعدها عن حركة العالم تماثل بعد منطقة القطب المتجمد الشمالى وقسوة الحياة فيها. فما كان هناك أى أثر لقيام دولة عربية، أو جيش نظامى، أو حتى وجود لطموح سياسى. لقد كان العرب: شعراء، ومقاتلون، وتجارا، لكنهم لم يكونوا سياسيين. وما وجدوا فى دياناتهم قوة توحدهم أو تقيم استقرارا بينهم، إذ كانوا يمارسون شعائر ديانة شرك منحطة.

(١)**ولكن ما أن انقضت مائة عام حتى استطاع هؤلاء المتوحشون المغمورون أن يصبحوا قوة عالمية عظمى.** فلقد فتحوا سوريا ومصر، وقهروا فارس وحولوها الى الإسلام، وسيطروا على تركستان

(١) - A hundred years later these obscure savages had achieved for themselves a great world power.

الغربية وجزءا من البنجاب، وانتزعوا افريقيا من البيزنطيين والبربر، كما انتزعوا اسبانيا من القوط، وهددوا فرنسا فى الغرب، كما هددوا القسطنطينية فى الشرق. أما أساطيلهم البحرية التى بنيت فى الأسكندرية أو فى الموانى السورية، فقد إنطلقت تجوب مياه البحر الأبيض المتوسط وتغير على الجزر الاغريقية، وتتحدى القوة البحرية للامبراطورية البيزنطية، فكف البحر المتوسط عن ان يكون بحيرة رومانية.

وما بين أحد طرفى أوربا حتى طرفها الآخر، وجدت الدول المسيحية نفسها تواجه التحدى من[1] **حضارة شرقية جديدة تأسست على دين شرقى جديد**. وخلال السنوات الأولى من التوسع العربى، ما كان الفاتحون فى حاجة الى بذل مجهود كبير لكسب مهتدين الى الإسلام[2]. **فعلى العكس من ذلك، كان نجاحهم فى الحكم متوقفا الى حد كبير على سياستهم الحكيمة فى التسامح التى مارسوها تجاه اليهود والمسيحيين. لقد اشتمل الدين الجديد، منذ البداية، على قدر كبير من السياسة.** وجاء الى عالم عربى همجى، متمرد على القانون ومنقسم الى أبعد الحدود، جاءه بوحدة العقيدة، وانقياد للسلطة، وشعيرة يومية تجلب للنفس سكينة هى الصلاة، وامتناع عن شرب الخمور وهو الأمر الذى أعطى الجيوش

---

(١) - A new oriental civilisation founded on a new oriental faith

(٢) - On the contrary, their success in government largly consisted in the wise policy of toleration which they practised towards Jews and christions. The new religion had from the first a great political value.

الإسلامية ميزة خاصة عبر التاريخ.

وهكذا انتشرت الحضارة الإسلامية، وكانت مراكزها السياسية: فى دمشق تحت حكم الأمويين، وفى بغداد تحت حكم العباسيين، وفى مصر تحت حكم الفاطميين. ولقد ساهم فيها السوريون والفرس والترك والبربر والأسبان، ليقدموا جميعا [1] **العصر الرائع للآداب والفنون الإسلامية، التى مكنت شعوب الإسلام من السيادة الفكرية للعالم طيلة أربعة قرون، بينما كان العقل الأوربى غارقا فى قيعان الجهل والكسل**»[2].

إن ما فعله الإسلام فى أبناء الجزيرة العربية، ليبين بوضوح كيف أحيا الله الموتى ـ موتى القلوب ـ أخرجهم من الظلمات الى النور، وجعلهم خير أمة حضارية تقود الناس الى خير الدنيا وسعادة الآخرة، بعد أن أقاموا حضارتهم على دين الله.

---

(١) - the great age of Moslem literature and art which, for four centuries, while the European mind was deep sunk in ignorance and sloth gave the peoples of Islam the intellectual leadership of the world.

(٢) - H. Fisher: A short History of Europe, Vol.1,pp,150-51,154

ستيفن رنسيمان

ولد ستيفن رنسيمان فى عام ١٩٠٣. وقد تقلد عدة مناصب جامعية فى بريطانيا العظمى وأمريكا وكان رئيسا للرابطة الانجليزية الاغريقية، ورئيسا للمعهد البريطانى للآثار فى أنقرة، كما ينتمى لعدة جمعيات علمية.

*

يقول ستيفن رنسيمان فى كتابه: «**تاريخ الحروب الصليبية**» فى معرض الحديث عن الفتوحات العربية وتأثيرها على المسيحيين فى البلاد المفتوحة:

«جاء تغيير الحكام لمسيحيى الشرق بالراحة والسرور، فهاهو ميخائيل السورى بطريرك أنطاكية اليعقوبى[١]، يكتب بعد خمسة قرون من الفتح العربى فى أيام مملكة اللاتين، ما يعكس التقليد القديم الذى حفظه شعبه، عندما قال[٢]: «**إن إله الإنتقام الذى هو وحده على كل شئ قدير، قد أنهض أولاد إسماعيل من الجنوب ليخلصنا بهم**

(١) كان فى مصر حزبان دينيان مشهوران: «أولهما حزب اليعاقبة وهم القبط، والثانى حزب الملكانية وهم حزب الملك (الامبراطور). وكان اليعاقبة على مذهب المونوفيسين (أصحاب الطبيعة الواحدة للمسيح التى تقول أن اللاهوت والناسوت اتحدا معا فصارا طبيعة واحدة). وأكثرهم وإن لم يكونوا جميعا من الجنس المصرى، على حين كان الملكانيون يتبعون المذهب الذى أقره مجمع خلقيدونية (عام ٤٥١ وقرر أن للمسيح طبيعتين) وكان أكثرهم من أصل اغريقى أو أوربى.
ونجد إجماعا من المؤرخين على أنه ما ولى أمبراطور إلا سار على سنة القضاء على مذهب اليعاقبة فى مصر قضاء لا هوادة فيه ولا رحمة. وكان اليعاقبة لا يرضون إلا بأن يمحو كل أثر من آثار مذهب خلقيدونية». (فتح العرب لمصر – تأليف ألفرد بتلر ص٤٠٢)

(٢) -The God of vengence, who alone is the Almighty.. raised from the south the children of Ismael to deliver us by them from the hands of the Romans.

من أيدى الرومان».

ثم أضاف الى ذلك قوله: «وما كان هذا الخلاص بالنسبة لنا مكسبا يسيرا».

كذلك ردد النساطرة هذا الرأى، إذ كتب مؤرخ نسطورى يقول:

«لقد ابتهجت قلوب المسيحيين بسيادة العرب، فليقوّها الله وليجعلها تزدهر».

حتى الأرثوذكس، حينما وجدوا أنفسهم وقد تخلصوا من الإضطهاد الذى كان يرهبهم، ويدفعون ضرائب أقل كثيرا مما كان أيام البيزنطيين، فإنهم لم يظهروا إلا قدرا ضئيلا من التساؤل عن مستقبلهم.

لقد كان نتيجة الفتح العربى أن بقيت أوضاع كنائس الشرق ثابتة باستمرار حيث هى. فخلافا لما حاولته الامبراطورية المسيحية من فرض الوحدة الدينية بالقوة على جميع مواطنيها ـ وهو هدف خيالى لم يتحقق على الإطلاق لأن اليهود ما كان يمكن تحويلهم الى المسيحية أو طردهم من البلاد ـ فإن العرب كانوا مهيئين لقبول أقليات دينية طالما كانوا من أهل الكتاب. وبهذا أصبح المسيحيون والمجوس واليهود من أهل الذمة، أى الذين يتمتعون بحماية الدولة التى تضمن لهم حرية العبادة على أن يدفعوا الجزية التى كانت فى أول الأمر ضريبة على الرؤوس ثم ما لبثت ان تحولت الى ضريبة بدل الإعفاء من الخدمة العسكرية.

لقد عوملت كل طائفة من الطوائف الدينية، كجماعة تتمتع بحكم ذاتى جزئى داخل الدولة. وكان لكل منها الحق فى ان تحتفظ بأماكن العبادة التى كانت ضمن ممتلكاتها فى زمن الفتح، وهو الإجراء الذى

كان فى صالح الأرثوذكس (المصريين) أكثر من المسيحيين الهراطقة الآخرين»[1].

*

ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن المذهبين المسيحيين الكبيرين فى مصر قبل الفتح العربى ـ سواء القائل بطبيعة واحدة للمسيح أو القائل بطبيعتين ـ كان بينهما إتفاق فى أمور جوهرية تتعلق بمسيحيتهم. فقد كانوا جميعا يؤلهون المسيح ويعبدونه، وكانوا يؤمنون بعقيدة التثليث، وبفكرة صلب المسيح كفارة عن الخطايا حسبما علّمهم بولس. لكن الإتفاق بينهما فى هذه الأمور الجوهرية لم يكن كافيا لإقامة أى نوع من المصالحة، بل ولا حتى المهادنة بينهما، رغم ما يقال من أن المسيحية دين المحبة.

ويعرض ألفرد بتلر فى كتابه: «**فتح العرب لمصر**» بعضا من الفوضى الدينية والسياسية التى كانت عليها مصر، كما يعطى صورا من الإضطهادات التى مارسها الحكام الرومان ضد الشعب المصرى بسبب الإختلاف فقط فى المذهب، ولا نقول بسبب الإختلاف فى الدين.

يقول بتلر: «إن القرنين الأخيرين من حكم الرومان.. كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين، نضال يذكيه إختلاف فى الجنس واختلاف فى الدين (المذهب). وكان اختلاف الدين أشد أثرا فيه من اختلاف الجنس، اذ كانت علة العلل فى ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمونوفيسية. وكانت الطائفة الأولى كما يدل عليه اسمها

(١) - S. Runciman: A History of the Crusades, Vol.1, pp.20-21

حزب مذهب الدولة الامبراطورية. وكانت تعتقد فى ازدواج طبيعة المسيح، على حين أن الطائفة الأخرى وهى حزب القبط أهل مصر كانت تستبشع تلك العقيدة وتحاربها حربا عنيفة فى حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصورها أو نعرف كنهها فى قوم يؤمنون بالانجيل..»

«وقد ثارت الحرب الأهلية فى أيام جستن الأول (٥١٨ - ٥٢٧م) بين حزب كان يعتقد أن جسد المسيح فان يفسد، وآخر يعتقد أن جسده باق لا يفنى ولا يفسد. ولما قلد جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥م) زويلس ولاية الدين، ثار الناس وغلبوا جنود الروم، فلجأ الى أن جعل أبو لينايوس واليا للمدينة (الأسكندرية) وبطريقا فى آن واحد. فنشأت عن ذلك مذبحة أمر بها المطران من محرابه وهو فى سلاحه وعدة حربه، فجرت الدماء بين المصلين من القبط..».

ويقول بتلر: «إذا أردنا أن نعرف تاريخ مصر فى مدة الأعوام الثلاثين التى بين ولاية هرقل وبين الفتح العربى، فلا مناص لنا من أن نلجأ على الأكثر إلى ما كتبه رجال الكنيسة.. لم يكن نظر الناس الى الدين على أنه المعين الذى يستمد منه الناس ما يعينهم على العمل الصالح بل كان الدين فى نظرهم هو الإعتقاد المجرد فى أصول معينة. **وكان الناس لا يكادون يحسون بشئ اسمه حب الوطن**.. فحق على مصر المسيحية قول الشاعر جوفنال إذ يصف ما كان بين قومه من النزاع والشقاق على أيها أفضل فى العبادة: عبادة التماسيح أم عبادة القطط؟!، إذ قال: «كل مكان يكره الآلهة التى لجيرانه، ويعتقد أن

الآلهة الحقيقية هى التى يعبدها هو».

ويقول بتلر: «بقيت مصر وفيها بطريقان للمذهبين مدة، وكانت خطة هرقل فى مبدأ أمره أن يوفق بين هذين المذهبين الذين اقتسما اتباع الدين المسيحى فى مصر. ولكن لم يستطع رئيس الدين القبطى (المونوفيسيتى) أن يبقى فى العاصمة (الاسكندرية)، فقد كانت العداوة بين الشيعتين، وإن خمدت، تتقد فى جفاء ويندلع منها اللهب إذا ما هب عليها أضعف ريح من الفتنة. ورأت الحكومة أن من الحكمة التفريق بين رئيسى الدين (المذهبين) حتى لا يبقى المتنافسان معا فى العاصمة»..

ويقول بتلر عن إختيار الامبراطور هرقل للأسقف قيرس ليكون بطريركا فى الاسكندرية أن عمله هذا «كان خطأ كبيرا وكان له أسوأ العواقب، إذ كان ذلك الرجل نحسا. وعندما قدم قيرس الاسكندرية فى خريف سنة ٦٣١ هرب البطريق القبطى بنيامين. وقد أخفق الامبراطور بشؤمه فى سعيه لتوحيد المذاهب فى مصر، ثم عسف فى الحكم (إذ صار واليا على حكومة مصر من قبل الامبراطور فقبض على رياسة سلطتى الدنيا والدين معا) حتى صار اسمه مفزعا للقبط كريها عندهم مدة عشر سنين أمعن فيها ما استطاع فى اضطهاد مذهبهم حتى استحال بعد ذلك أن يبقى فى القبط ولاء لدولة الروم، وكان ظالما أساء فى حكمه حتى كره الناس دولته، ومهد السبيل بذلك الى فتح العرب للبلاد»[1].

---

(١) فتح العرب لمصر – تأليف: الفريد بتلر – الجزء الأول – ص ٢٧، ٤١، ٤٦، ١٥٤، ١٥٨

ادوارد جيبون

ولد ادوارد جيبون فى انجلترا عام ١٧٣٧. كان عضوا فى البرلمان. وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١، وظهر الجزء الأول من مصنفه الضخم. «إنحدار الامبراطورية الرومانية وسقوطها»، عام ١٧٧٦ ثم استكمل بقية الأجزاء حتى ظهر آخرها عام ١٧٨٨. وقد توفى فى لندن عام ١٧٩٤

أفرد ادوارد جيبون الباب الخمسين من كتابه: **«انحدار الامبراطورية الرومانية وسقوطها»**، للحديث عن الإسلام. وقد كتب مصنفه هذا فى عصر حروب وتوسع استعمارى، ووسط مخاوف تجتاح أوربا من قوة الإسلام المتمثلة آنذاك فى الامبراطورية العثمانية التى كانت قد توسعت فى بلاد أوربية كثيرة، فاحتلت شبه جزيرة البلقان وهددت ايطاليا والفاتيكان، وأخضعت المجر وحاصرت فينا عام ١٦٦٣. فكان الخوف من الإسلام هو الشغل الشاغل لصانعى القرار فى الغرب، وكانت محاولات التشويه ونشر الأكاذيب حول الإسلام ونبيه هى السلاح الرخيص فى أيديهم. ولم يستطع جيبون التخلص من أسر الأفكار الشائعة حول الإسلام ونبيه ـ مثل كثير غيره ـ ومع ذلك، فهذا بعض ما كتبه:

«إن عبقرية النبى العربى، وسلوكيات أمته، وروح ديانته، كل ذلك يتضمن أسباب إنحدار الامبراطورية الرومانية الشرقية وسقوطها. وإن أنظارنا لتتجه فى دهشة نحو واحدة من أكبر الثورات الجديرة بالذكر فى العالم، والتى طبعت بعمق أثرا جديدا وخالدا فى أمم الأرض.

إن مسيحيى القرن السابع (عند ظهور الإسلام) قد ارتدوا، دون أن يدروا، الى ما يشبه الوثنية. وكانوا يحلفون، فى أمورهم الخاصة والعامة، بالصور والآثار الدينية التى كانت تملأ بالخزى كنائس الشرق. وبدت أسرار التثليث والتجسد فى تناقض مع توحيد الله. فالمعنى الواضح لذلك هو القول بثلاثة آلهة متساوية، وتحويل الانسان يسوع الى جوهر ابن الله. وكانت كل طائفة من الطوائف الشرقية فى هوس بالغ من أجل الاقرار بان جميع من عداها من المسيحيين يستحقون اللوم والخزى بسبب وثنيتهم وشركهم.

إن عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة على وحدانية الله[1]. ومن الهند حتى مراكش، يشتهر المهتدون الى دينه باسم: الموحدين. وقد انزاح خطر الوثنية بتحريم الصور.

إن مواهب محمد تجعلنا نكيل له المديح، إلا أن نجاحه ربما كان هو الذى جذب بقوة إنتباهنا اليه. وان ما يستحق إعجابنا ليس إنتشار ديانته، وإنما استمراريتها[2]. **إن نفس الإنطباع النقى الكامل الذى حفره فى الأذهان فى مكة والمدينة لايزال مصونا الى اليوم**

---

(١) bigui-- The creed of Mahomet is free from suspicion or amity; the Koran is a glorious testimony to the unity of God.

(٢) - The same pure and perfect impression which he engraved at Mecca and Medina is preserved after the revolutions of twelve centries..

بعد انقضاء اثنى عشر قرنا، عند الذين اهتدوا بالقرآن من هنود وأفارقه وترك. ولو عاد الرسولان المسيحيان، القديس بطرس والقديس بولس، الى الفاتيكان اليوم فلربما تساءلا عمن يكون ذلك الإله الذى يعبدونه بمثل تلك الطقوس التى تكتنفها الأسرار فى هذه الكنائس الفخمة. ولعله من الواجب عليهما ان يدرسا بتمعن **كتاب تعاليم اساسيات العقيدة** الذى تصدره الكنيسة، وأن يدرسا كذلك شروح المفسرين وتعليقاتهم على ما كتباه، وعلى كلمات معلمهما!

لقد قاوم المسلمون باستمرار غواية النزول بجوهر إيمانهم وعبادتهم الى مستوى حواس الانسان وتخيلاته. وإن إعلان الإسلام البسيط الثابت بلا تغير هو: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. إن الصورة الذهنية عن الإله لم تنحط على الاطلاق الى صورة صنم يرى، وان مظاهر التكريم للنبى لم تتجاوز أبدا معايير الفضائل البشرية. ولقد أبقت تعاليمه الأخلاقية الحية اعتراف تلاميذه بفضله فى حدود العقل والدين.

لقد أثيرت فى مدارس المسلمين الفكرية تلك الأسئلة التى تتعلق بما وراء الطبيعة عن خواص الإله وحرية الانسان كما أثيرت فى مدارس المسيحيين. لكنها عند المسلمين لم تشغل أبدا عواطف الناس ولم تعكر صفو الدولة.

إن سبب هذا الإختلاف الهام بين الفكر المسيحى والفكر الإسلامى يمكن إرجاعه الى مبدأ الفصل بين الشخصيات القائمة بأمور الملك والشخصيات القائمة بأمور الكهنوت، أو مبدأ التوحيد بينهما.

لقد كان إهتمام الخلفاء الذين تولوا الحكم بعد النبى وكانوا أمراء

المؤمنين، أن يكبتوا البدع الدينية. ذلك أن الرهبنة وطموح الاكليروس الزمنى والروحى، غير معروف عند المسلمين. وان فقهاء الشريعة هم مرشدوهم وفق الضمير والعقل، وهم المجيبون على الأسئلة المتعلقة بأمور دينهم.

ونجد أنه من المحيط الأطلسى غربا الى أقاصى الهند شرقا يعترف بأن القرآن هو الدستور الأساسى، ليس فقط فى مسائل الالهيات ولكن فيما يتعلق بالقوانين المدنية والجنائية والقوانين التى تنظم سلوكيات البشر.

لقد نفث محمد بين المؤمنين روح الاخوة والاحسان، وأوصى بممارسة الفضائل الاجتماعية، وكبح بشريعته وتعاليمه الاخلاقية التعطش الى الانتقام وظلم الارامل واليتامى. ولقد توحدت القبائل التى كانت فى عداء تحت مظلة الدين والطاعة، وتوجهت شجاعة المقاتلين ـ التى أنفقت هدرا فى صراعات داخلية ـ نحو العدو الخارجى، فانتشرت بذلك أمصار الأمة الإسلامية شرقا وغربا»(١).

* *

إن ما قاله جيبون عن بعض المفاهيم الاسلامية ـ على الرغم من البعد المكانى والزمانى الذى كان فيه ـ ليبين بوضوح أنه كان على دراية بحقيقة أن الإسلام دين ودولة، لافصل فيه بين هذا وذاك، خلافا لما تقول به المسيحية. فإذا كان المسيح قد فصل بين ما لقيصر (للدولة) وما لله (للدين) وذلك فى قوله: «اعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله ـ انجيل متى ٢٢ :٢١»، ففى الإسلام ليس لقيصر من الأمر شئ، وانما

---

(١) - E. Gibbon: Decline and Fall of the Roman Empire, pp.649,665-9,693-5

قيصر وشعب قيصر ملك لله. وإذا كان المسيح قد رفض الاستجابة لمواطن اسرائيلي قال له: «يا معلم. قل لأخي ان يقاسمني الميراث. فقال له: يا انسان، من أقامني عليكما قاضيا أومقسما ـ انجيل لوقا ١٢: ١٣ـ١٤»، فأعلن المسيح بذلك أن لا صلة له بأمور الحكم والقضاء بين الناس، فإن الأمر في الإسلام مختلف تماما. إن الله يقول لنبيه محمدا في القرآن: **﴿ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله، ولا تكن للخائنين خصيما ﴾**[1].

وذلك كما سبق أن قال لنبيه داود الملك: رأس الدولة ومسيِّر الجيوش للحرب ومقيم القضاء بين الناس: **﴿ إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾**[2].

إن الإسلام دين ودولة وحضارة، وهو نظام كامل للحياة. وإذا كان بعض حملة الأقلام اليوم يتنكرون لأساسيات الإسلام ويفتون للمسلمين زيفا بغير علم، أو كانوا ممن أضلهم الله على علم، فمن يسمع لهم من بين المسلمين؟!...

أولئك ﴿ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾[3].

---

(١) النساء: ١٠٥ (٢) ص: ٢٦ (٣) الكهف: ١٠٤

مايكل هارت

عالم أمريكى معاصر يتمتع بسعة تخصصه فى مجالات علمية متعددة مثل الفلك والرياضيات والفيزياء، كما أنه محام ومؤرخ من الهواة. يعمل فى وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية المعروفة اختصارا باسم: ناسا.

*

يقول مايكل هارت فى كتابه: «**المائة: تصنيف لأعظم الشخصيات أثرا فى التاريخ**»، وقد وضع محمدا رسول الله على رأس هذه القائمة:

«إن اختيارى محمدا ليكون على رأس القائمة لأعظم الشخصيات العالمية فى التاريخ، قد يدهش بعض القراء، كما أنه قد يكون محل تساؤل من البعض الآخر. (١)**لكن محمدا كان هو الانسان الوحيد فى التاريخ الذى بلغ أعلى درجات النجاح على المستويين الدينى والدنيوى.**

لقد استطاع محمد، رغم أنه جاء من أصول متواضعة، أن يؤسس وينشر واحدة من أعظم ديانات العالم، كما أصبح زعيما سياسيا ذا تأثير هائل. واليوم، وبعد مرور ثلاثة عشر قرنا على وفاته، لايزال تأثيره قويا واسع الانتشار.

إن أغلب الشخصيات المذكورة فى هذا الكتاب (المائة) تتميز بأنها

---

(١) - but he was the only man in history who was supremely successful on both religious and secular levels.

ولدت وتربت فى مراكز الحضارة، ونشأت فى أمم عالية الثقافة، أو ذات أهمية عظمى فى السياسة. لكن محمدا ولد عام ٥٧٠ فى مدينة مكة، جنوب بلاد العرب التى كانت آنذاك منطقة متخلفة بين بلاد العالم، وبعيدة عن مراكز التجارة والفن والمعرفة. ولقد أصبح يتيما وهو فى السادسة من عمره ونشأ فى بيئة متواضعة. وكان أغلب العرب آنذاك وثنيين يعبدون آلهة كثيرة. وعندما بلغ محمد الاربعين من عمره صار مقتنعا بأن الاله الواحد الحق ـ الله ـ يكلمه، وأنه اختاره لنشر الدين الحق. غير ان تلك الجيوش العربية الصغيرة، وقد وحدها محمد لأول مرة فى التاريخ، ونفخ فيها الإيمان بالاله الواحد الحق روحا جديدة، مالبثت ان قامت بسلسلة من الفتوحات تعتبر واحدة من اكثرها مدعاة للدهشة فى تاريخ البشرية. وعلى الرغم من أن القوة العددية للعرب فى ميدان المعركة لا يمكن ان تكون محل مقارنة مع القوة العددية الهائلة لخصومهم، فان أولئك العرب المتحمسين سرعان مافتحوا كل بلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين. وفى عام ٦٤٢ كانت مصر قد انتزعت من قبضة الامبراطورية البيزنطية، بينما تم سحق الجيوش الفارسية فى المعارك الحاسمة: فى القادسية عام ٦٣٧، ونهاوند عام ٦٤٢.

لكن هذه الفتوحات العظيمة ـ التى تمت تحت قيادة صاحبى محمد الحميمين وخليفتيه المباشرين وهما ابوبكر وعمر بن الخطاب ـ لم تكن هذه الفتوحات نهاية لزحف العرب. ففى عام ٧١١ اكتسحت الجيوش العربية شمال افريقيا بالكامل حتى وصلت الى المحيط

الاطلسى. ومن هناك استدارت شمالا فعبرت مضيق جبل طارق ثم سحقت مملكة القوط الغربيين فى أسبانيا. ولقد بدا آنذاك أن المسلمين على وشك ان يسحقوا اوربا المسيحية بالكامل. ولكن أخيرا وفى عام ٧٣٢ هزم الفرنجة جيشا إسلاميا كان قد زحف الى قلب فرنسا، وذلك فى معركة بواتيه الشهيرة.

وعلى الرغم من ذلك، فان أولئك البدو القبليين الذين نفخت فيهم كلمات النبى روحا جديدة، قد استطاعوا خلال اقل من قرن من الحرب أن يقيموا امبراطورية تمتد من حدود الهند الى المحيط الاطلسى، وكانت اكبر الامبراطوريات التى عرفها العالم.

وخلال القرون المتلاحقة، كان من الطبيعى ان يستمر الدين الجديد فى الانتشار بعيدا فيما وراء الحدود الأصلية للفتوحات الإسلامية.

ويعتنق هذا الدين حاليا عشرات الملايين فى أفريقيا وآسيا الوسطى وأيضا فى باكستان وشمال الهند واندونيسيا. ولقد كان هذا الدين الجديد عاملا لتوحيد اندونيسيا.

ونظرا لأن عدد المسيحيين فى العالم يقدر تقريبا بضعف عدد المسلمين، فقد يبدو غريبا ان يوضع محمد فى القائمة قبل عيسى. لكن هناك سببان رئيسيان لهذا القرار: أولهما أن محمدا لعب دورا هاما أبعد أثرا فى نشر الإسلام وبيانه أكثر مما فعله عيسى فى المسيحية. فعلى الرغم من أن عيسى كان مسئولا عن المبادئ الاساسية للسلوك والتعاليم الأخلاقية فى المسيحية، فان القديس بولس كان هو المسئول عن وضع

قواعد اللاهوت المسيحى، وناشر المسيحية الأول، ومؤلف الجزء الأكبر من أسفار العهد الجديد. أما محمد فقد كان هو المسئول عن وضع قواعد الإسلام والمبادئ الاساسية والتعاليم الاخلاقية. وبجانب هذا، فقد لعب الدور الرئيسى فى نشر العقيدة الجديدة وترسيخ الممارسة الدينية للإسلام. والقرآن يمثل كلماته بالضبط الى حد بعيد، على حين أنه لم يبق لنا مثل هذا التصنيف التفصيلى لكلمات المسيح وتعاليمه. **وربما كان التأثير النسبى لمحمد على الإسلام أكبر من التأثير المشترك ليسوع المسيح والقديس بولس على المسيحية. وعلى المستوى الدينى الخالص، يمكن أن يكون تأثير محمد فى تاريخ الانسانية مثل تأثير عيسى.** وأكثر من هذا، وعلى العكس من عيسى، فإن محمدا كان زعيما دنيويا كما كان زعيما دينيا. وفى حقيقة الأمر وبصفته القوة المحركة للفتوحات العربية، **يمكنه أن يكون أكثر الزعماء السياسيين تأثيرا عبر كل العصور.** قد يمكن القول أن كثيرا من الأحداث التاريخية الهامة كان محتما وقوعها حتى دون وجود الزعيم السياسى المعين الذى وجهها، ولكن مثل هذا القول لا يمكن أن ينطبق على الفتوحات العربية. فلم يحدث مثل ذلك قبل محمد، ولا يوجد سبب يدعو للإعتقاد بان تلك الفتوحات كان يمكن حدوثها دون محمد. إن الفتوحات الوحيدة فى تاريخ البشرية والتى يمكن مقارنتها بالفتوحات العربية، هى فتوحات المغول فى القرن الثالث عشر والتى يرجع الفضل فيها الى تأثير چنكيزخان. لكن فتوحات المغول، رغم إمتدادها أكثر من الفتوحات العربية، لم يكتب لها الدوام.

ويحتل المغول اليوم نفس المساحة التى كانوا فيها قبل عصر چنكيزخان. ان هذا يختلف تماما عما حدث للفتوحات العربية، إذ تمتد من العراق الى المغرب سلسلة متصلة من الامم العربية، لم تتحد فقط فى إيمانها بالإسلام ولكن وحّدها أيضا لغتها العربية وتاريخها وثقافتها. وفوق ذلك، نرى أن الفتوحات العربية التى حدثت فى القرن السابع، لاتزال تلعب دورا هاما فى تاريخ البشرية حتى اليوم.

(١)وبسبب هذا الجمع الذى لا نظير له بين الدين والدنيا، أرى أن محمدا من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثرا فى تاريخ الانسانية»(٢).

* *

(١) - It is this unparalled combination of secular and religious influence which I feel entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history.

(٢) - M. Hart: the 100: A Ranking of the Most influential persons in History,pp.33-40

برنارد لويس

ولد عام ١٩١٦ وحصل على الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٣٩. وهو استاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة برنستون واستاذ زائر فى كاليفورنيا وكولومبيا واندیانا وعضو شرف فى الجمعية التاريخية التركية وعضو الجمعية الفلسفية الامريكية والمعهد الملكى للشئون الدولية وعدد آخر من الجمعيات العلمية العالمية.

كتب برنارد لويس عن الإسلام يقول:

«أرسل الله الملك جبريل ليملى القرآن على محمد، بهذا يكمل القرآن سلسلة الوحى التى سبقت الى أنبياء اليهود والى عيسى. ومن ثم يكون محمدا أعظم الأنبياء وخاتمهم، ويكون القرآن هو «الكتاب» الأخير والتعبير الكامل عن إرادة الله فيما يتعلق بحياة الناس.

إن المسيحية فى إخلاصها الى «إنسان ـ إله» إنما تلهم مثلا عليا دنيوية، بينما الإسلام فى إخلاصه للقرآن[1] إنما هو حضارة: إذ لا يمكن فصل محتواه الدينى عن تنظيم حياة البشر، ذلك التنظيم الذى كان يوضع موضع التنفيذ فورا بمجرد التنزيل.

---

(١) فى الإسلام، الاخلاص كله لله، والقرآن يهدى الناس ويعلمهم هذا الاخلاص. فالحق يقول: ﴿ إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين. ألا لله الدين الخالص.. قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين.. قل الله أعبد مخلصا له دينى ﴾ (سورة الزمر: ٢، ١١ـ١٢، ١٤)

لقد كان قيصر هو إله روما الامبراطورية[1]. **وبالنسبة للمسيحى، يعترف بأن «يعطى ما لقيصر لقيصر، وما لله لله». أما بالنسبة للمسلم فإن الله هو قيصر. لن يعترف بأى مصدر آخر للسلطة سوى الله.**

ويتفق المسلمون وغير المسلمين بوجه عام على إعطاء كلمة «الإسلام» معنى «التسليم لله» وبخاصة استسلام المؤمن لمشيئة الله. ولقد فهم الاسلام فى نظر محمد نفسه وفي نظر المسلمين الأوائل على انه ليس دينا جديدا، وانما هو استمرارية تمثل المرحلة الأخيرة فى الصراع الطويل بين الشرك والتوحيد. ولقد كان الأنبياء الكثيرون الموحدون وتلاميذهم، الذين شاركوا فى هذا الصراع قبل محمد، كانوا جميعا مسلمين. وتدل كلمة «الإسلام» على الدين الحق الذى دعا اليه كل المرسلين الذى اختارهم الله.

واليهودية مثلها مثل المسيحية، كانت كل منها مرحلة سابقة فى نفس سلسلة الوحى الالهى، وكانتا فى أول أمرهما ديانتين صحيحتين، ولكن بالنسبة للمسلمين فان بعثة محمد قد نسختهما. فما كان فيهما من حق، قد احتوته رسالة النبى، وما كان فيهما من غير الحق، انما جاء نتيجة لما لحق بهما من تحريف.

وعلى المستوى الدينى، يعتبر الإسلام هو النهاية. ولكن من الجهة

(١) - pour le chrétien il convient de "rendre à César ce qui est à César et à Dieu ce qui est à Dieu". Pour le musulman, Dieu est César. Il ne saurait y avoir d'autre source d'autorité que Dieu.

التاريخية، يمكن النظر اليه باعتباره بداية، فقد كان[1] **تأسيسا لدين جديد، وامبراطورية جديدة، وحضارة جديدة.**

وهنا نقطة هامة كان بناء عليها قَدَرُ محمد مختلفا جذريا عما قُدّر لعيسى والأنبياء الآخرين، وهى أن حياته قد تميزت بالنجاح الزمنى. ومن المؤكد أنه لم يكن فى بدء رسالته إلا داعية متواضعا ومضطهدا، مثل بقية رسل الله، ولكنه بدلا من أن يقاسى الاستشهاد فإذا به يرتفع الى السلطة. [2]**إن الإسلام منذ بدايته وهو مرتبط بممارسة السلطة السياسية. والذى حدث أن جماعة المسلمين بالمدينة كونت ايضا دولة، ثم كان على الأحداث التى تعقب ذلك ان تجعل منها نواة لامبراطورية.**

لقد كان الله فى نظر المسلمين هو المصدر الأسمى للسلطة، ومنه استمد النبى سلطته وشريعته فى نفس الوقت. ولقد كان النبى هو مبلغ وحى الله، ورسول العناية الالهية، والرئيس المفوض من الله لقيادة جماعة المؤمنين. لقد علم يسوع المسيحيين أن يعطوا لقيصر ما لقيصر، وأن يعطوا لله ما لله. وخلال ثلاثة قرون من الصراعات والاضطهادات، توطد بصلابة هذا الفصل بين السلطتين الدينية والزمنية فى العقيدة

---

(١) - la fondation d'une nouvelle religion, d'un nouvel empire, d'une nouvelle civilisation.

(٢) - L' Islam, dès ses dèbuts, s'engagea dans l'exercice du pouvoir politique. Il se trouvait que la communauté musulmane de Medine constituait aussi un Etat; les événements qui allaient suivre devaient en faire le noyau d'un empire.

المسيحية وممارستها. ولقد أقامت الديانة المسيحية مؤسساتها المنفصلة عن مؤسسات الدولة، إذ أقامت الكنيسة وطبقة الكهنوت المسيحى.

ولقد حدث التغيير الكبير مع تحول الامبراطور الرومانى قسطنطين الى المسيحية، وابتداء علاقات سيئة فى صدر المسيحية بين الكنيسة والدولة.

(١)إن هذا الفصل بين السلطتين (الدينية والزمنية)غير موجود على الإطلاق فى الإسلام، كما أن هناك زوجين من الكلمات مثل: «دنيوى نجس ودينى» ، «روحى وزمنى»، لا يوجد لهما مكافئ فى العربية الفصحى. وفى روما كان قيصر هو الله، وفى المسيحية تقاسم قيصر والله المسيحية، أما فى الإسلام فالله هو قيصر.

وعندما مات محمد، كانت بعثته الروحية والنبوية قد اكتملت. وكانت مهمته التى حددها الله، هى: استعادة التوحيد الحقيقى الذى علمّه الأنبياء السابقون لكنه ما لبث أن تعرض للتحريف والفساد، ثم القضاء على الوثنية، وتبليغ الوحى الذى جدد الدين الحقيقى والشريعة الالهية. وكان هذا مافعله محمد أثناء حياته. وعند موته عام ١١هـ - ٦٣٢م كانت إرادة الله قد أوحى بها كاملة الى البشرية، ولن يكون

---

(١) - Cette sépartion de deux pouvoirs n'existe nullement dans l' Islam; d'ailleurs, des couples de mots tels que "profane et religieux", "spirituel et temporel" n'ont pas d'equivalents en arabe classique. A Rome, César était Dieu; dans la chrétienté, Dieu et César se partageaient le pouvoir. Dans l' Islam, Dieu est César.

بعد ذلك نبى أو وحى آخر.

وإذا كانت المهمة الروحية قد انتهت، فلاتزال هناك مهمة دينية أخرى يجب تحقيقها، ألا وهى الحفاظ على الشريعة الالهية والدفاع عنها واخضاع بقية البشرية الى الدين. [١] **ولقد تطلّب إنجاز مثل هذا العمل ممارسة قوة سياسية وعسكرية، أو باختصار ممارسة سيادة داخل دولة.**

[٢] **ويزعم أحيانا أن الدين الإسلامى قد فُرض بالقوة. ان هذا القول غير صحيح**، ولو أن عمليات الفتح قد ساهمت الى حد كبير فى امتداد الإسلام والعروبة. فبعد وفاة النبى بقرن، وفى امبراطورية واسعة يحكمها ورثة محمد وتضم العديد من الأقطار والشعوب، كان الإسلام هو الدين السائد وكانت اللغة العربية تحل سريعا محل اللغات الأخرى وتفرض نفسها وخاصة فى الإدارة والتجارة والتعليم.

لقد قامت حضارة أصيلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحماية الدولة الإسلامية، ومدعمة بثراء اللغة العربية. حضارة تنمو وتتسع وتعيش طويلا وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كل شئ فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية»[٣].

---

(١) - L' accomplissement d'une telle tâche exigeait l'exercice d'une pouvoir politique et militaire - en un mot, d'une souveraineté - au sein d'un Etat.

(٢) - On prétend parfois que la religion islamique s'est imposée par la force. Cela est inexact.

(٣) - Bernard Lewis: L'Islam d'hier à Aujourd'hui,pp. 9-11,16,20

فولتير

هو فرانسوا مارى أرويه المعروف باسم فولتير. كاتب فرنسى شهير وقطب من أقطاب عصر التنوير. ولد عام ١٦٩٤ وتوفى عام ١٧٧٨. هاجم بعنف المؤسسات السياسية والاجتماعية فى عصره وفضح مفاسدها، كما حمل بشدة على التعصب الدينى. أعماله كثيرة ومتنوعة فى مقالات نقدية وموضوعات فلسفية وأعمال مسرحية، وغير ذلك.

*

جمع **القاموس الفلسفى لفولتير** مقالاته فى مختلف الموضوعات، مرتبة ترتيبا أبجديا. ونجد فى **المجلد السابع** من هذا القاموس حديثا عن **القرآن**، يقول فيه فولتير:

(١)**«لايزال القرآن ، فى واقع الأمر، يشتهر الى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزا وسموا، الذى كتب بهذه اللغة (العربية). لقد ألصقنا بالقرآن ما لانهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق.** لقد كان هذا موجها بالدرجة الأولى ضد الترك الذين أصبحوا من أتباع محمد، فكتب رهباننا الكثير من كتب المطاعن هذه، إذ لم تكن هناك وسيلة تمكنهم من مواجهة فاتحى القسطنطينية، خلاف ذلك. كما أن مؤلفينا والذين هم فى كثرتهم الهائلة أكبر عددا من جنود الإنكشارية، لم يجدوا صعوبة تذكر

(١) - En effet, l'Alcoran passe encore aujourd'hui pour le livre le plus élégant et le plus sublime qui ait encore été écrit dans cette langue. Nous avons imputé à l'Alcoran une infinité de sottises qui n'y furent jamais.

فى جعل نسائنا تقف فى صفهم.

(١)لقد أقنعوهن بأن محمدا لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعا إماء وفق شريعة القرآن، ولن ينلن أى خير فى هذه الحياة، وفى الحياة الأخرى لا نصيب لهن فى الفردوس على الإطلاق.

من الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة.

كان يكفى مع ذلك قراءة السورتين الثانية والرابعة من القرآن، حتى يهتدى الناس الى الحق. ففيهما التشريعات التالية(٢) التى ترجمها كل من: **دى ريير** الذى عاش مدة طويلة فى القسطنطينية، **وماراكى** الذى لم يزرها أبدا، ثم **سال** المستشرق (الانجليزى) الذى عاش خمسة وعشرين سنة بين العرب.

- ils leur persuadèrent que Mahomet ne les regardait pas (١) comme des animaux intelligents; qu' elles étaient toutes esclaves par les lois de l' Alcoran; qu' elles ne possédaient aucun bien dans ce monde, et que dans l' autre elles n' avaient aucun part au pardis. Tout cela est une faussete, évidente; et tout cela a été cru fermement.

(٢) ذكر ڤولتير ثمان مجموعات من الآيات نوردها كما هى، مع بيان اسم السورة ورقم الآية فى الهامش.

[١]

﴿ ولا تنكحوا المشركات حتي يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ﴾[١]

[٢]

﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ﴾[٢]

[٣]

﴿ الطلاق مرتان، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا.. فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ﴾[٣]

[٤]

﴿ الصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله.. فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾[٤]

[٥]

﴿ انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة.. وآتوا النساء صدقاتهن نحلة.. وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ﴾[٥]

---

(١) البقرة: ٢٢١ (٢) البقرة: ٢٢٦ (٣) البقرة: ٢٢٩-٢٣٠

(٤) النساء: ٣٤-٣٥ (٥) النساء: ٣-٥

[٦]

﴿ لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ﴾[١].

[٧]

﴿ ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات.. وان تصبروا خير لكم ﴾[٢].

[٨]

﴿ والوالدات ير ضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الر ضاعة وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف.. فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ﴾[٣].

إن فى هذا ما يكفى لعمل مصالحة بين النساء ومحمد الذى لم يعاملهن أبدا بمثل تلك الشدة المزعومة. كما أننا لا نستطيع أن ندينه على عقيدته فى الإله الواحد. فهذه هى كلمات السورة رقم ١١٢ تقول: «الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد».

[٤]اننى أقول أن هذه الكلمات أخضعت له الشرق أكثر مما فعل سيفه.

---

(١) النساء: ١٩-٢٠ (٢) النساء: ٢٥ (٣) البقرة: ٢٣٣

(٤) - Ces paroles dis-je, lui ont soumis l' Orient encore plus que son épée.

وفى كلمة موجزه، فإن شريعته صالحة، وعقيدته تدعو الى الاعجاب»[1].

كذلك كتب **فولتير** مقالا جاء فى المجلد الثامن من قاموسه الفلسفى، بعنوان: **المحمدين**، قال فيه مخاطبا مواطنيه وخاصة طبقة الكهنوت الذين يتزعمون حملة التشهير بمحمد ودينه وأتباعه:

[2]«**أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء الذين خدعهم جهلة آخرون إذ أقنعوكم بأن الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هى ليست شيئا من ذلك. ولقد خدعتم فى هذا الموضوع، كما خدعتم فى موضوعات أخرى كثيرة.**

أيها الأساقفة والرهبان والقسس! إذا فرض عليكم الإيمان أن تمتنعوا عن الطعام والشراب من الساعة الرابعة صباحا حتى العاشرة مساء فى شهر يوليو، عندما يحل الصوم فى هذا الوقت القائظ، وإذا حرم عليكم لعب الميسر وإلا حلت بكم اللعنة، وإذا حرمت عليكم الخمر تحت التهديد بالجزاء نفسه، وإذا فرض عليكم الحج مرة فى الصحارى المحرقة، وإذا فرض عليكم إعطاء ٢,٥ ٪ على الأقل من دخلكم السنوى الى

---

(١) - DICTIONNAIRE PHILOSOPHIQUE de VOLTAIRE, TOME VII, pp.46-8

(٢) - Je vous le dis encore, ignorants, imbéciles, à qui d'autres ignorants ont fait accroire que la religion mahométane est voluptueuse et sensuelle, il n'en est rien; on vous a trompés sur ce point comme sur tant d'autres.

الفقراء، وإذا كنتم معتادين على التمتع بثمانية عشر امرأة فإذا بمن جاء فى ضربة واحدة ليقتطع منهن أربعة عشر امرأة (ليبقى منهن أربعة فقط)، فهل تجرؤون بعد ذلك على القول مخلصين أن هذه الديانة ديانة شهوانية؟!

إننى أمقت الإفتراء على الناس لدرجة أنى لا أقبل إلصاق التهم حتى بالاتراك مهما كانت كراهيتى لهم لسوء معاملتهم للنساء، ولعداوتهم للفنون. لكن هناك من يؤمنون بضرورة القتال دون توقف! وإذا ما تم هدم ضلالة، فإنه يوجد دائما من يعمل على بعثها من رقدتها واستبقائها!»[1].

*

لقد دافع ڤولتير عن الإسلام ونبيه والمسلمين قدر استطاعته، وحسب ما توافر لديه من معلومات ودراسات، وذلك فى عصر الاستعمار العاتى وسطوة الكنيسة وشيوع التعصب الأعمى. وإذا كان ڤولتير قد أبطل الفرية التى تزعم أنه لا مكان للمرأة فى الجنة، وأنها فى الإسلام حكر على الرجال، فمن عجب أن هذا الزعم الباطل لايزال يتردد الى الآن فى الغرب ...!

فها نحن فى يناير ١٩٩٣، ويسأل شاب مسلم فى ألمانيا، كاتب هذه السطور عن الرد العلمى على ذلك الزعم الباطل...!

لقد أجاب ڤولتير عن ذلك قبل أكثر من مائتى عام، وأجاب غيره إجابات أخرى أكثر استفاضة وتنوعا. ولكن كثيرا من القائمين على أمر

(١) - ibid, TOME VIII, p.43

http://kotob.has.it

الدعوة الى الاسلام فى الغرب لايزالون يهتمون أكثر من أى شئ آخر بارتداء الجلباب الابيض فى بلاد تصل درجة الحرارة فيها عشرات تحت الصفر..!

وإذا كان ڤولتير قد قرر قبل أكثر من مائتى عام أن «**شريعة الإسلام صالحة**» لخير الانسان، فما بالنا اليوم نجد بعض المنتمين الى الإسلام يهاجمون تطبيق الشريعة علنا ويعطلونها من حياة المسلمين. ونتيجة للجهل بالمفاهيم الإسلامية الصحيحة، توجد قطاعات عريضة من المسلمين ينحصر فهمها فى تطبيق الشريعة بإقامة الحدود المعروفة، بينما مقاصد الشريعة هى «إقامة مجتمع الكفاية والعدل وتحقيق كرامة الانسان المسلم فى الدنيا قبل الآخرة»، ودليل على الممارسة الديمقراطية التى تحترم إرادة الأغلبية ثم هى قبل ذلك وبعده برهان على حقيقة الايمان الذى وقر فى القلب وصدقه العمل:

﴿ فلا وربك لايؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾(١).

﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. وإذا دعوا الي الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معر ضون. أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴾(٢).

---

(١) النساء: ٦٥ (٢) النور: ٤٧، ٤٨، ٥٠

روچيه دى باسكيه

كاتب وصحفى سويسرى يبلغ من العمر نحو ستين عاما. درس الاسلام واعتنقه تحت اسم: سيدى عبد الكريم، وكذلك أسلمت زوجته الهولندية. كتب كتابا من أجل تعريف الغرب بالإسلام تحت اسم: إكتشاف الإسلام.

يقول روچيه دى باسكيه فى كتابه: **اكتشاف الإسلام:**

(١)**«من المسلّم به حاليا وبوجه عام، أنه بينما تتراجع الديانات الكبرى أو على الأقل تتخذ موقف الدفاع، فان الإسلام ذاته فى تقدم.** وتعطى أفريقيا أكثر الأمثلة وضوحا على ذلك.

إن قوة الإسلام هذه مقارنة بضعف المسيحية تمثل حقيقة كبرى فى التاريخ المعاصر. ولقد قامت عدة دراسات اجتماعية واستشراقية بمحاولة لتفسير ذلك فاظهرت أن هناك وجهات نظر عديدة.

لقد جاء الإسلام الى الناس لمساعدتهم على عبور هذه المرحلة الأخيرة من التاريخ العالمى دون أن يتعرضوا للضياع. وباعتباره الوحى الأخير فى سلسلة النبوات، فانه يقدم وسائل لمقاومة الفوضى التى تسود العالم حاليا، واقرار النظام والنقاء فى داخل الانسان، وإيجاد التآلف

---

(١) - De facon général, il est indéniable qu'a l'heure où toutes les grands religions sont en recul, ou du moins sur la défense, l'Islam, lui, est en progrès.

والانسجام فى العلاقات الإنسانية، وتحقيق الهدف الأسمى الذى من أجله دعانا **الخالق** الى هذه الحياة. ان الإسلام يخاطب الانسان الذى يعرفه معرفة عميقة ودقيقة، محددا بالضبط وضعه بين المخلوقات وموقفه أمام الله.

ان الفكر الحديث على العكس من ذلك، إذ ليس لديه معلومات دقيقة متفق عليها تتعلق بعلم الانسان. فهذا الفكر يمتلك قدرا كبيرا من الافكار المختلفة عن الانسان، وهى فى اختلافها وتضاربها تظهر مدى قصورها عن إعطاء معلومات مترابطة عن حقيقة الوضع البشرى. ولم يحدث فى حضارة أخرى غير هذه الحضارة الغربية أن حدث تجاهل، بطريقة منظمة وشاملة، للتساؤل عن الأسباب التى من أجلها نولد ونعيش ثم نموت. ذلك هو التناقض الذى وقعت فيه هذه الحضارة التى ارتأت منذ نشأتها أن تكون «انسانية» بمعنى أنها جعلت من الإنسان مصدر كل شئ ونهايته. ان هذه الحضارة التى أريد لها أن تكون «انسانية» إنما تقود فى نفس الوقت الى نظام يحتقر الانسان ويخدعه ثم يدمره فى نهاية المطاف.

ان هذه الحضارة تحتقر الانسان لأنها تحوله الى مجرد مجموعة من الوظائف الجسدية وكميات من الانتاج والاستهلاك. وهى تخدع الإنسان لأنها تجعله يعتقد أنه سوف يحقق السعادة ويقضى على الشقاء الذى هو ملازم للطبيعة البشرية، وذلك بفضل التطور وتقدم العلوم وإقامة نظام اجتماعى أفضل والتحرر من القديم من الاحكام المسبقة

والقيود الموروثة.

وهذه الحضارة تدمر الانسان بإفساده وتمزيقه وحرمان حياته من أن يكون لها معنى أو أمل.

وفى ظروف هذه الحياة الحديثة اللامعقولة، فان الناس الذين يتحلون بقليل من التأمل والتفكير سرعان مايتأكدون بأنفسهم من أنهم يتسابقون نحو الهاوية. وفى استجابتهم لرد فعل مفهوم تماما، فان كثيرا منهم يبحثون عن خلاصهم خارج العالم الغربى مؤسس هذه الحضارة التى فقدت الثقة والاعتبار، فيتوجهون نحو اشكال مختلفة من التصوف الشرقى أو علوم السحر والتنجيم أو اليوجا، إلا أنهم غالبا مايتجاهلون الإسلام الذى يضع تحت تصرفهم كل المساعات التى تعطى لحياتهم معنى يستجيب لطموحاتهم العالية.

إن الإسلام ليس غريبا، ومع ذلك يصبح من الظلم اعتباره محصورا فى الشرق. والإسلام سهل وواضح، لكنه فى نفس الوقت يخفى بين ثناياه كنوزا من الحكم الصوفية وما وراء الطبيعة التى طالما نهلت منها أجيال كثيرة من أهل التأمل وعباد الله الصالحين. [1] **والإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية قادر على عمل توافق قوى بين الانسان والكون المحيط به، وكذلك بين الانسان والاله خالق**

(١) - Par ses dimensions horizontales et verticales l'Islam est capable de réconcilier concrètement l'homme avec le cosmos qui l'entoure ainsi qu'avec le Créateur de toutes choses. Au plein sens du terme; il est universel. L'Occident, chrétien ou déchristianisé, n' a jamais vraiment connu l'Islam.

كل شئ ومبدعه. إن الإسلام عالمى بكل معنى الكلمة.

إن الغرب المسيحى، أو الذى فقد مسيحيته، لم يعرف الإسلام أبدا.

فمنذ أن ظهر على المسرح العالمى، والمسيحيون لا يكفون عن اختلاق الأكاذيب حوله وتحقيره من أجل ايجاد المبررات اللازمة لقتاله.

لقد ألحقت بالإسلام صور مشوهة كثيرة لاتزال آثارها منطبعة بعمق فى العقلية الأوربية الى اليوم. فبالنسبة لكثير من الغربيين، لايزال الإسلام يعنى هذه المفاهيم الثلاثة: التعصب، والايمان بالجبرية، وتعدد الزوجات. ومن المؤكد أن هناك جمهورا مثقفا تعتبر أفكارهم عن الإسلام أقل زيفا من غيرهم، لكن من النادر أيضا أن تجد بين الغربيين من يعرف أن كلمة «الإسلام» لاتعنى شيئا سوى «الخضوع لله». وللتدليل على وجود هذا الجهل ما هو واقع من أن مفهوم كلمة «الله» فى فكر الغالبية العظمى من الأوربيين يعنى إله المسلمين، وليس الإله الذى يعبده المسيحيون واليهود.

ومن المؤكد أن الإسلام كان محل دراسة تابعها المستشرقون الغربيون خلال القرنين الأخيرين، ونشروا عنه مصنفات كثيرة ذات صبغة علمية. ولكن مهما كان التقدير لأعمالهم وخصوصا من نواحى التاريخ وفقه اللغة، فانهم لم يسهموا إلا قليلا فى تحقيق فهم أفضل لدين الإسلام فى الأوساط المسيحية لأنهم لم يظهروا اهتماما كبيرا بمن هم خارج

الدوائر الأكاديمية المتخصصة. [1] **ومن جهة أخرى، يجب الاعتراف بان الدراسات الاستشراقية فى الغرب لم تكن مستوحاة أبدا من روح النزاهة العلمية الخالصة، ولا يمكن إنكار أن بعض المتخصصين فى الدراسات الإسلامية والعربية قد قاموا بأبحاثهم بهدف واضح هو تحقير الإسلام والمسلمين.**

وإذا كان الميل لتحقيق هذا الهدف تدفعه أسباب واضحة تتعلق بعصر الامبراطوريات الاستعمارية، فانه يصير من المبالغة فى القول بان ذلك قد انتهى الآن تماما.

تلك هى بعض الأسباب التى جعلت الإسلام مجهولا حتى اليوم. ومن عجيب الأمر أن ديانات أسيوية مثل البوذية والهندوكية صارت، منذ ما يقرب من قرن، تحظى بتعاطف واهتمام ملحوظين بدرجة أكبر مما يحظى به الإسلام على الرغم من كونه أقرب الى اليهودية والمسيحية باعتباره صادرا عن نفس الأرومة الابراهيمية. ولكن حدث منذ عدة سنوات أن ظروفا خارجية، وخاصة ما يتعلق بتعاظم الأهمية السياسية والاقتصادية للأقطار العربية ـ الإسلامية فى الشئون العالمية، قد أظهرت فى الغرب اهتماما متناميا بالإسلام.

إن الإسلام يقيم مصالحة بين الإنسان ونفسه، كما يقيمها بينه وبين

---

(١) - D'ailleurs, il faut bien admettre que les études orientales en Occident n'ont pas toujours été inspirées par le plus pur esprit d'impartialité scientifique et l'on ne saurait nier que certains islamologues et arabisants ont manifestement agi avec l'intention de dénigrer l'Islam et les musulmans.

الكون، وبهذا يقدم الدواء الناجح لعلاج الشر فى هذا العصر. وهذا الشر، فى بعض صوره، جاء نتيجة لتمرد ابليس، وفق ما يقصه القرآن فى عبارات رائعة تبين فى نفس الوقت ما للإنسان من مكانة منقطعة النظير ميزه الله بها، كما تبين مأساة غوايته وسقوطه.

لقد استسلم آدم نفسه لغواية إبليس، لكنه ندم وتاب. ولقد قبل الله توبته، واعدا إياه وزوجه بالهداية:

﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ (سورة طه: ١٢٣)

وهذه الهداية هى الدين الخالد الذى أخذ تعبيرات مختلفة عبر العصور، وبلغ تمامه وكماله فى الإسلام الذى جاء به الوحى الى النبى محمد. فهذا الإسلام، مثل الديانات السابقة، يسمح بالهروب من اللعنة التى تصيب أولئك الذين يتبعون ابليس، وبتحقيق وظيفة الانسان الحقيقية فى هذه الحياة، الا وهى الإسلام للخالق مع التمتع بالنعم والامتيازات التى اختص الله بها ذرية الانسان الأول.

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (سورة الاسراء: ٧٠)

إن الإسلام لايحرم أبدا على الناس الاستمتاع الكامل بكل نعم الله التى أسبغها عليهم شريطة أن يكونوا شاكرين له:

﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (سورة البقرة: ١٧٢)

والإسلام كدين توازن، يجعل الانسان يعمل من أجل خيرى الدنيا

والآخرة، أخذا فى الاعتبار أن الآخرة خير وأبقى:

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾

[سورة القصص: ٧٧]

﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ [سورة الضحى: ٤]

وإذا كان الإسلام يضع الانسان على طريق الآخرة التى هى خير وأبقى، فإنه يوفر له أيضا وسائل الاستمتاع بافضل ما فى هذه الحياة، وذلك بتنظيم التوافق بينه وبينها على المستويين الفردى والجماعى. إن مشيئة الله أن يكون الناس فى النهاية سعداء وذلك عن طريق إسلامهم لله. إن كلمة الإسلام، فى العربية، تعنى التسليم لله، وهى ذات صلة لغوية بكلمتى: السِلم، والسلام. وفى حقيقة الأمر، فإن التسليم لله يحقق السلام، وهو شرط لازم لتحقيق السعادة.

وربَّ معترض يقول أن حال المسلمين اليوم لا يعطى انطباعا جيدا عن إمكانية تحقيق السعادة والسلام. وهنا يوجد الكثير للرد به على مثل هذا الاعتراض، ونكتفى الآن بايراد بعض الملاحظات الموجزة قبل العودة للحديث عن أوضاع العالم الإسلامى.

فيجب الاعتراف أولا بأن جميع الأديان تمر بأزمة فى العصر الحاضر بما فيها الإسلام الذى ربما كانت أزمتة أقل درجة. وعل كل حال، فان أحدا لا يمكن اعتباره يحكم بالعدل عندما يكون معيار الحكم هو ما صار اليه حال الشعوب التى تعتنقه.

إن المسلمين، بوجه عام، على وعى تام بأنهم عاشوا بعيدا جدا عن

المثل الحقيقية للوحى الذى تلقاه النبى محمد ويعترفون صراحة بأنهم لو اتبعوا تعاليم الإسلام فان حياتهم كلها ستتغير الى أفضل حال.

إن الإسلام بتمامه لم يوضع موضع التطبيق إلا فى مراحله الأولى، أى فى عصر النبى والخلفاء الأربعة الراشدين من بعده. وقد حفظ المسلمون، أو أمة الإسلام، الحنين الى ذلك العصر المتميز. ومن المؤكد أنه كانت هناك أيضا، على مر العصور، فترات رائعة من الحماس والازدهار، إلا أن أحدا لا يجرؤ على الزعم بأننا نعيش مثل هذه الفترات. وشهادة للحق، فان عكس ذلك هو واقع الأمر، إذ أن العالم الإسلامى، شأنه شأن العالم بوجه عام، يعيش حاليا فى أزمة وانحدار لم يشهد التاريخ لهما مثيلا.

ومع ذلك، فلا يمكن إنكار أنه بالنسبة للأزمة التى يعيشها الغرب الصناعى حاليا، فان العالم الإسلامى يعانى مصائب مختلفة من نواحى كثيرة. ذلك أن أسسه الأخلاقية والروحية لم تكن موضع نزاع بنفس الطريقة التى حدثت فى الغرب. ولقد استمسكت الأغلبية العظمى من أبناء البلاد الإسلامية بايمانها التقليدى. إن الأزمة التى أصابت تلك البلاد إنما هى ذات طابع أكثره متعلق بالماديات ولوازم الحياة. ونجد فى آسيا، على وجه الخصوص، عددا من الأقطار التى تندرج تحت اكثر البلاد فقرا على ظهر الأرض، أن هذا الوضع الذى يعود جزئيا الى القوى الاستعمارية، فانه بوجه عام، لا يطعن فى الكرامة الإنسانية حتى عند اكبر الناس معاناة من الحرمان، لأن الإسلام يضفى على الإنسان

كرامة لايستطيع الفقر أن يمحوها، بل إنه فى بعض الأحيان قد يعززها[1] وهكذا نرى بوضوح أنه حتى فى أشد الحالات فقرا وعوزا، فان الإسلام يحفظ للحياة معناها ويعطيها مذاقا يجعلها جديرة بان يحياها الانسان.

[2]وهكذا، فمهما حدث فى العالم الغربى المزدهر وفاسد الأخلاق، أو حدث للشعوب التى تعانى من فقر المستلزمات المادية للحياة مثل تلك التى يطلق عليها «العالم الثالث» فان الإسلام يقدم الحل الأكثر وضوحا وجوهرية وحتمية، من أجل مواجهة التحدى الحديث.

وبالنسبة لهولاء الذى يعتنقون الإسلام ويطبقونه عمليا، فانه يقدم لهم العلاج الأكثر فاعلية وشفاء من شرور هذا العصر»[3].

* *

إن هذا يعنى فى عبارة واحدة أن: الإسلام هو الحل.

---

(١) ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾. (سورة البقرة: ٢٧٣)

(٢) - Ainsi, que ce soit dans le monde occidental prospère, mais démoralisé, ou dans la pauvreté matérielle des peuples de ce qu'on appelle le "tiers monde", l'Islam constitue la réponse la plus claire, la plus fondamentale et la plus catégorique au défi moderne.

(٣) 5,11,13,15-16,21-24- R.du Pasquier: Découverte de L'Islam, pp.

مارسيل بوازار

أستاذ جامعة سويسرى. عاش لمدة أكثر من اثنى عشر عاما فى بلاد عربية وإسلامية خاصة كممثل للجنة الدولية للصليب الأحمر فى: الجزائر واليمن والمملكة العربية السعودية وسوريا والأردن ومصر. وبصفته مديرا مشاركا فى برامج التثقيف الدبلوماسى بالمعهد الجامعى للدراسات الدوليةالعليا بجنيف، وكمندوب مفوض أوربى بالجمعية الثقافية الدولية المعروفة باسم «الإسلام والغرب»، فانه قام بنشر عدة بحوث حول بعض أوجه الحضارة الإسلامية، وحول عدد من موضوعات السياسة الثقافية فى بلجيكا والنمسا وباكستان والمغرب وغيرها من البلدان.

*

يقول مارسيل بوازار فى كتابه: «**الجوانب الإنسانية فى الإسلام**»(١):

الإسلام دين وحضارة:

«لا شك فى أن الوحى الدينى قد ظهر فى منطقة الشرق الأوسط، مهد ديانات التوحيد الثلاث. ولعل الإسلام يعتبر هو التجلى الأخير

---

(١) عنوان الكتاب بالفرنسية هو: L'Humanisme de L'Islam، والترجمة بادى الرأى هى: «إنسانية الإسلام». لكن هناك محاذير من استخدام كلمة «إنسانية» هنا كترجمة لكلمة humanisme التى قد تعنى المذهب الذى يضع الإنسان واهتماماته فوق جميع الاعتبارات والقيم الأخرى، أو تعنى نظاما للسلوك الأخلاقى بصرف النظر عن التعاليم الدينية. وهذا يجعل من كلمة: إنسانى، مقابلا فى الطرف الآخر لكلمة: إلهى، مثلما يقال فى بعض الديانات: لاهوت المعبود وناسوته. من أجل ذلك كانت الترجمة المفضلة هى: «الجوانب الإنسانية فى الإسلام».

والأكمل للحضارة فى هذه المنطقة من العالم. ولقد نفذت أفكاره الى اوربا، وآسيا، باللغة العربية، عبر البحر الأبيض المتوسط وفوق جبال البرانس.

والإسلام باعتباره دينا، وفق المعانى الاشتقاقية الثلاث لكلمة الدين فى اللغة الفرنسية، فإنه يقتضى، من ناحية، إختيارا تطوعيا أو اختيارا حرا بالخضوع الى شريعة وإلى قواعد للأخلاق، وممارسة الشعائر. كما يستلزم، من ناحية أخرى، تصنيف تراث إنسانى خاص والحفاظ عليه. وأخيرا وعلى وجه الخصوص، فإنه يحدد وضع المؤمن أمام **القيوم**، وكذلك علاقات التضامن بين الناس. وهكذا يظهر لنا الإسلام كعمل باهر ومتوافق سياسيا واجتماعيا، وظاهرة تاريخية جديرة بالتأمل والاعتبار.

وفى كلمة موجزة، فإن الإسلام [1] **حضارة أعطت مفهوما خاصا للفرد، وحددت بدقة مكانه فى المجتمع، وقدمت عددا من الحقائق الأولية التى تحكم العلاقات بين الشعوب.** كما أن هذه الحضارة لم تقدم فقط مساهمتها التاريخية الخاصة فى الثقافة العالمية، ولكنها كانت تؤكد أيضا، ولها مبرراتها، على تقديم حلول للمشاكل الرئيسية للأفراد والمجتمعات، والمشاكل الدولية التى تثير الاضطرابات فى العالم المعاصر.

---

(١) - une civilisation qui a donné une conception propre de l'individu, a précisé sa place dans la société et a mis en avant certains axiomes régissant les contacts entre peuples.

إن الإسلام هو اتصال بين الله كإله وبين الإنسان كإنسان، وهو انغماس الكائن النسبى فى الكائن المطلق. بل إن جوهر هذا الدين يرتبط باسمه ـ فعندما تكون هناك ترجمة مرضية ـ فالإسلام هو «تسليم» يقينى نشط وعن طواعية، الى المشيئة الإلهية. وينتسب الإسلام، بجذره اللغوى، الى الكلمة العربية التى تعنى السلام والطمأنينة. وعلى كل حال، فإن هذين المفهومين ـ التسليم والسلام ـ يلتقيان فى المنظور الإسلامى.

إن القبول الورع، من الفرد أو الجماعة، باحترام الشريعة الموحى بها، إنما يعبر عن محاولة دائمة ونشطة يقوم بها الإنسان للدخول فى حالة من التوازن الهادئ مع عالم فريد ومتماسك، يحكمه قرار إلهى. وعندما يكون الدين مؤسسا على عقيدة راسخة تماما فى توحيد الله، فإنه ينمى فكرة تحقيق عالم متوافق، تحكمه شريعة فريدة عالمية، ثابتة بلا تغيير. ومن الناحية التاريخية، **فلقد أنجب هذا الدين «أمة»**، وأوجد أسلوبا للحياة والعمل والتفكير، وفى كلمة واحدة، **فقد أنجب حضارة.**

وفضلا عن أن الإسلام دين موحى به، فقد تأكد وجوده كظاهرة تاريخية واجتماعية، ثم يجب التفكير فيه باعتباره الجزء المكمل لتجمع عالمى مترابط، وأنه يحدث بدوره تأثيرات خاصة فى مختلف مجالات الحياة الأخلاقية، وفى هيكلة مؤسسات الجماعة المسلمة.

ولسوف يستأثر الإسلام بتفكيرنا، بصفته أولا دينا أو مثلا أعلى مطلقا، ومنهجا للتفكير والعمل للفرد والجماعة. وهكذا شهد القرن

السابع الميلادى نزول الوحى النهائى والثابت، وتأسيس «المدينة الإسلامية».

ويؤكد الإسلام طموحه السياسى على المستوى العالمى، ويتابع إنتشاره بانتظام، وخاصة فى افريقيا السوداء. وإذا نظر اليوم الى كيان الإسلام ووحدته، تبين أنه ليس جسدا ميتا نقشت عليه ذكريات ماض مجيد، وإنما هو واقع حى فعلا.

ويدل التاريخ على وجود حقيقة ثابتة مثالية فى الحضارةالإسلامية، التى كانت منذ بدئها ولانزال، متوجهة توجها كاملا نحو الله. وهذه الظاهرة التى تغيب دائما عن الفكر والتحليل الغربى الحديث، تعطى للإسلام طابعه المتميز بالدوام.

وربما كان **ديكارت**، الذى تغذى فلسفته ومنهجيته التفكير اليومى لأوربا، قد قام بإحداث شق يعتبر واحدا من أكثر الشقوق عمقا بين الشرق والغرب. ففى اختياره للاتجاه العقلانى، فإنه حول الثقافة الأوربية من ثقافة «تعتبر الاله مركز الكون» الى ثقافة «تعتبر الإنسان مركز الكون». ويبقى الله، هكذا، المرجع الرئيسى فى الفكر الإسلامى، سواء فى علوم الدين أو القانون أو السياسة. ويضطلع الدين، بصورة مباشرة، بتنظيم الحياة الروحية والزمنية للفرد والجماعة، رافضا وساطة كهنوت كان سيتصرف على هواه ويحتكر الدين. والإسلام هو دين المطلق الإلهى والعقلانى، وعلى العقل البشرى أن يتوافق والمنهاج الموحى به»[1].

---

(١) - M. Boisard: L'Humanisme de L'Islam, pp.27-38

الأخلاق الإسلامية:

«تشكل الأخلاق الإسلامية جزءا مكملا للدين، وهى حسبما جاء فى حديث النبى: «الدين المعاملة». ولن نقرر الى أى حد يطبق هذا المبدأ أو يحظى بالاحترام فى أيامنا هذه، فقد ذهب مصلح إسلامى كبير ـ هو محمد عبده ـ الى حد القول بأن حياة المسلمين فى الوقت الحاضر قد أصبحت «مظاهرة تهتف ضد دينهم».

إن المؤمن مدعو الى بذل الجهد من أجل فهم مغزى مجموعة القواعد الأخلاقية وغايتها، كما جاءت فى القرآن، ليطبقها بنزاهة فى الحياة العملية. والقرآن هو كلام الله النهائى الذى لا يتبدل، وهو يعلن الشريعة الى الناس ويبينها لهم، شريعة لا تغفل عن مخاطبة أحاسيس الانسان الداخلية وفهمه وعقله. ويتطلب التقيد بما جاء فى القرآن جهدا أخلاقيا مستمرا. والإشارات القرآنية التى تحث على إدراك الخير والشر كثيرة، وهو إدراك فطرى فى الانسان. ولكى يشجع القرآن المؤمن على بذل جهد عقلانى، وينشط عزيمته، ويسمو بعواطفه، فإنه يستحضر صور الصالحين السابقين ويقص من أنباء حياتهم، على سبيل الإستشهاد وضرب الأمثلة. وهكذا نجد أن معظم مفاهيم الأخلاقيات العالمية مذكورة فى القرآن ولكن بعد تجليتها تحت أضواء جديدة.

إن الايمان يعطى المؤمن معيارا يقيم به كل الأوضاع الاستثنائية، كما يقدم حلولا لجميع مشاكله. فالإيمان يحث على العمل ويمده بالحيوية.

ويؤكد القرآن صراحة على أن قدرا كبيرا من حرية التصرف متروك الى ضمائر الأفراد، حيث يطلب منهم أن «يستبقوا الخيرات». وبجانب هذا، تذكر لنا كتب الحديث أن محمدا وضع تعريفا لمبادئ الحياة الأخلاقية، فقال: «البر ما اطمأنت اليه النفس. والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس ـ واستفت قلبك وان أفتاك الناس».

وحدة وتوازن وانسجام:

«إن الغرب فى مواجهته لمشاكل الحياة المادية والتطور العلمى، فقد الاحساس بما فوق الطبيعة الى حد كبير. وهو يتعجب أنه لايزال فى وسع المقدسات ان تقدم مبادرات لمجهودات ذهنية ذات قيمة، وأسس محتمله لعملية تنظيم اجتماعى. وفى المقابل نجد أن مفهوم المقدس وغير المرئى (الغيب) يعتبر أكثر واقعية عند الشرقيين الذين يلعب الدين دورا خاصا فى حياتهم.

فهو يتمثل فى الايمان بالمطلق وبوجود نظام أسمى متوافق. والعالم نفسه نظام أخلاقى. والمطلق واقع حق ذو معيار أساسى ومثالى، لا يتجزأ ولا يدرك كنهه: هو الله الذى يعتقد المسلمون أنه تجلى للناس عن طريق الأنبياء. ويكمن الخير الأسمى فى أن يتوافق الإنسان نفسه مع هذا النظام الالهى. ويعتبر الشر كل ما من شأنه أن يمنع التوافق والوحدة مع هذا النظام.

ويظهر الإسلام، من هذا المنظور الأساسى «دين اليقين والتوازن».

إن الحقيقة الصحيحة المنقطعة النظير، وهى وحدانية الله، تتطلب

بالضرورة تحقيق وحدة متوازنة للإنسان والمجتمع والجنس البشرى. والله فى الإسلام، على عكس إله الإنجيل، لا يتجسد للبشر. ولا يوجد بينه وبين الإنسان شفيع، ولا وسيط، ولا كنيسة ولا كهنوت. وهو المرجع الوحيد والمطلق، وهو المبتدأ واليه المنتهى والمصير المقدر لاولئك المؤمنين به وبنبيه محمدا. ويكوّن الفرد جزءا مكملا لجماعة المؤمنين التى تشكل أخوة يقوم المعيار الوحيد للقبول فيها على الايمان. ويرسى اليقين والاعتزاز بامتلاك الحقيقة أساسيات التضامن الإسلامى، أكثر مما يفعله القانون والهيئات الاجتماعية. **وإذا كان العالم الإسلامى قد أظهر أنه لم يكن قادرا على الحفاظ على وحدته السياسية، فإن الإسلام ـ على العكس من ذلك ـ قد عرف كيف يبنا مقدرة رائعة على الحفاظ على ترابطه الدينى الذى بقى سليما تقريبا، رغم حدوث عدة شقاقات.**

لقد كان هذا الدين حافزا على تشكيل كيان متميز لم تستطع تقلبات الزمن والاحتكاك بالحضارات المختلفة أن تفت فى عضده على مر العصور. إن الشعور المتيقظ بالإنتماء الى كيان متميز، والوعي النشيط بامتلاك الحقيقة، قد خلق حضارة خاصة بالمسلمين، فرضت تعريفا خاصا للفرد والدولة والعالم.

إن كل شئ فى الإسلام يعبر عن وحدة. ففروض العبادة تعبّر بطريقة ظاهرة، بل بطريقة مادية عن التماسك والإلتحام. فالمسلمون يسجدون فى صلواتهم التى يقيمونها خمس مرات يوميا فى ساعات متماثلة تقريبا

وفى إتجاه واحد نحو مكة. وتعبر النية الدينية المصاحبة للممارسة البدنية لهذه الشعيرة، عن وحدة الإنسان روحيا وماديا. وفوق ذلك، نجد أن القرآن يذكر إقامة الصلاة مقرونة بإيتاء الزكاة التى هى فرض دينى وحق متبادل من شأنه أن يوحد جماعة المؤمنين. كما أن صيام رمضان يربط بشكل رمزى كل المؤمنين، إذ يمتنعون عن الطعام والشراب حسب توقيت متماثل. وفوق ذلك فإنه أحد الأسس التى تقوم عليها المساواة فى الإسلام، إذ يجبر الأغنياء كما يجبر الفقراء على الإمساك عن المفطرات. أما الزكاة، فإنها تساهم فى ترسيخ مفهوم وحدة الجماعة وانسجامها، لأن المساعدة الاجبارية بالصدقات تفرض التعاون بين الأفراد. وأخيرا فإن الحج هو أبرز مظاهر الوحدة بين جماعة يعتنق أفرادها دينا واحدا.

ويسهم الايمان كما تسهم الشعائر التى تربط الانسان مباشرة بالله، فى تضامن الجماعة المسلمة وتجانسها وتدفعها جميعا نحو تحقيق عالميتها.

إن جماعة المؤمنين وقد قامت على الدين، فإنها نجحت فى الصمود أمام التفكك السياسى، كما أن الروابط الدينية، التى تسمو فوق التخوم والحدود بين الدول لم تتأثر كثيرا بذلك التفكك السياسى.

لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبى أنها تقدمية(١)

(١) - Le message coranique et l'enseignement du Prophète s'avèrent essentiellement progressistes. Ces caractéristiques expliquent le développement extraordinairement rapide de l'Islam au cours des premiers siècles de son histoire.

بشكل جوهرى. وتفسر هذه الخصائص المميزة إنتشار الإسلام السريع بصورة عجيبة خلال القرون الأولى من تاريخه.

وهناك عوامل مختلفة تسمح جزئيا بفهم الكيفيات والأسباب التى من أجلها تبدو هذه الموجة الهائلة من الرقى والإصلاح الحيوى وكأنها قد تحجرت فجأة. فعلى الرغم من أن جوهر الدين لم يتغير، فان العالم الإسلامى يبدو جامدا منذ ما يقرب من سبعة قرون. وهذه بديهية يدركها المسلمون، إلا أنه لا دخل لها بجوهر الدين»[1].

«المدينة الإسلامية» نموذج للدولة الإسلامية:

«إن خصوصية التضامن الإسلامى ملزمة الى حد بعيد بحيث يعتبر كل مسلم مسئولا مسئولية شخصية عن إنتهاك الشريعة داخل الجماعة. فالإسلام يلزم بالتدخل شخصيا[2] لمنع الخطأ وتحقيق الخير.

وهكذا ابتكر الدين إخاء إجباريا واسع المدى، وهو فى تعهده بتنظيم أمور الدنيا قد أوجد مجتمعا مطبوعا بروح الوحى، سواء فى جوانبه الثقافية أو المتعلقة بمؤسسات الجماعة.

ومن المفيد أن نسجل الى أى مدى يؤثر مفهوم معين للعالم والايمان بمصير عالمى للإنسانية، فى طبع السلوك اليومى لملايين الأنفس من البشر. [3]**ولا يمكن لأى طريقة مثلى (أيديولوجية) معاصرة أن تدعى منافسة الإسلام فى هذا الصدد.**

---

(١) - ibid., pp.62-72

(٢) قال رسول الله ﷺ: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان. (رواه مسلم).

(٣) - Nulle idéologie moderne ne peut prétendre rivaliser avec l'Islam à cet égard.

إن المراقب غير المسلم ليتعجب تماما أن هذه المؤسسة المتمركزة تماما حول كتاب وسنة وتفسيراتهما الفقهية فحسب، إنما تستمد منها جميعا قوتها وصلابتها. وهاهو دين بلا كاهن، يخلق طائفة إجتماعية وسياسية يستمد رئيسها سلطته من الدين دون أن يكون هو نفسه سلطة دينية. وهذا الرئيس السياسي الذى لم يكن يملك أى سلطة تشريعية، وكانت سلطته التنفيذية محدودة، قد اقتصرت صلاحيتها على تطبيق الشريعة تطبيقا عادلا، والسهر على تماسك الجماعة، وتشجيع توسعها. إن الدولة الإسلامية التى تصطبغ فى نهاية الأمر بالمثالية، يوجهها الشعور بالقدسية الذى ينتهى بتحويلها الى هيئة توضع فى خدمة الدين.

إن المعاهدة الى عقدها محمد لدى وصوله الى المدينة، مع قبائلها العربية الاثنتى عشرة وقبائلها اليهودية العشر، تستحق أعظم إهتمام. **فقد أمكن إعتبارها «أول دستور مكتوب فى العالم»**[1]. ويتضمن هذا العقد القانونى بكل معنى الكلمة، قسمين متميزين، وكأنهما حررا فى عهدين مختلفين. فالقسم الأول يرسخ الاخاء الإسلامى، **وينشئ كيانا سياسيا واضحا يضم قبائل المدينة العربية الاثنتى عشرة ومهاجرى مكة، بينما ينشئ القسم**[2]

---

(١) - Il a pu être considéré comme la "première constitution écrite du monde":

(٢) - crée une entité politique distincte groupant les douze tribus arabe de Médine et les réfugiés de la Mecque. La seconde =

الثانى «تحالفا عسكريا» مع القبائل اليهودية العشر. أما أحكام «الدستور» الرئيسية التى وحّدت بين سكان غير متجانسين، وخلقت جنين الدولة الإسلامية، فكانت كالآتى: تبقى الجماعات القبلية على حالها لكنها تتضامن من أجل إنشاء تنظيم سياسى موحد. ويحقق إعتناق الإسلام «الجنسية» لكل أعضاء الجماعة المتساوين فيما بينهم، كما يتوجب عليهم أن يساعد بعضهم بعضا. وهذا التضامن أخوى فى الداخل، لكنه يصبح مطلبا مؤكدا حيال الخارج.

(١) ويمثل محمد الحكومة المركزية التى تتمتع بامتيازين أساسيين هما: صلاحية إعلان الحرب أو إقرار السلم، والإحتفاظ بحق إصدار الاحكام القضائية النهائية. ولقد أنشئت الخدمة العسكرية الالزامية، وحظرت فى نفس الوقت الحروب الخاصة التى كانت تنشب بين القبائل. ولم يعد من حق أعضاء الجماعة أن

= partie constitue une "alliance militaire" avec les dix tribus juive du lieu. Les dispositions principales de la "constitution", qui unirent une population hétérogène et créèrent l'embryon de l'Etat musulman, furent les suivants: ....

(١) - Mohammed représent le gouvernement central dont les deux prérogatives essentielles sont la compétence de déclarer la guerre ou de fixer la paix et le monopole de la dernière instance judiciaire.

يقيموا العدالة بأنفسهم، بل عليهم أن يرجعوا الى محاكم الاتحاد (الفيدرالى) أو حكومة النبى المركزية، كملاذ أخير. وتملك هذه الحكومة صلاحيات «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»، وتراقب عدم وقوع أى اضطهاد على أى شخص كائنا من كان، وتحقق العدالة الاجتماعية باعادة توزيع الثروة المشتركة. [1] **ومع ذلك، لم يكن محمد حاكما مستبدا (أوتوقراطيا)، لأن الله كان هو المصدر الوحيد للسلطة، سواء بالنسبة لرئيس الجماعة أو لأعضائها.**

ولقد تم قبول اليهود وكفار المدينة شريطة ان يقطعوا كل العلاقات مع أعداء الإسلام. واستطاع اليهود الحفاظ على دينهم والاستفادة من حقوق فردية تعادل حقوق المسلمين. ولقد قبلوا سلطان محمد الذى احتفظ لنفسه بالقيادة العسكرية، كما كان فى إمكانه إصدار الاحكام النهائية فى نزاعاتهم على أساس التشريع التوراتى. وكان عليهم أن يسهموا فى نفقات الحرب، على ألا يشتركوا فى القتال إلا برخصة صريحة من النبى. وباستخدام المصطلحات الحديثة نقول أنهم كانوا يتمتعون بحكم ذاتى على المستوى الداخلى، لكنهم لا يملكون صلاحيات دولية. ولقد سجل التشريع المدنى[2]، الذى قام على أساس تعاقدى، فرقا ملحوظا عما كانت عليه الأعراف السابقة. ولقد ظل

---

(١) - Mohammed ne fut toutefois pas un autocrate, puisque Dieu était l'unique source d'autorité aussi bien pour le chef que pour les membres de la communauté.

(٢) نسبة الى المدينة المنورة.

هدف الدولة توفير الرخاء للجماعة ماديا وروحيا، يحدوها روح الاخاء والرغبة فى تقديم الخدمات.

ولقد تبين أن النظام الذى أقامه محمد وحافظ عليه، فى خطوطه العريضة، خلفاؤه المباشرون الأربعة، كان جهاز حكم مثالى، بسيط، واقعى قابل للتطبيق. وفى الواقع، لم يراع الا خلال ثلاثين سنة فقط، فسرعان ما حدث إنفصال بين النظرية الدستورية والتطبيق الحكومى. وبرز التمييز بين العرب وأولئك الداخلين حديثا فى الدين، فأوجد نوعا من الطبقية الاجتماعية المخالفة تماما للمساواة الإسلامية. ولقد ظهرت أعراض التفسخ الأولى فى تضامن الجماعة يوم رأت «الملكية» الأموية النور. فقد استلهم مؤسسها معاوية البذخ والأبهة من البيزنطيين، ولطالما رفض صحابة النبى ذلك. وهكذا أصبح معاوية حاكما مستبدا مطلقا، بينما كان محمد يأبى أن يكون أكثر من رجل بين اخوته المؤمنين.

لقد كانت **«المدينة الإسلامية»** المثالية والنموذجية، حقيقة واقعة. ومما لا يقبل الجدل أن المبادئ التى وضعها النبى لاتزال تلهم الفكر الفلسفى للمسلمين المعاصرين. [1] **ففى الإسلام، لا يمكن فهم السياسة بعيدا عن الدين».**

---

(١) - La politique, en Islam, ne peut se concevoir en dehors de la religion.

http://kotob.has.it

الإسلام لا يعرف الحكومة الدينية:

«إن السيادة، حسب المصطلح الغربى، تعنى سلطة وحيدة لا يُعلى عليها، تجمع كل النزعات والقوى داخل المجتمع.[1] **وأما فى العقيدة الإسلامية، فإن الله هو المصدر الأسمى لهذه السيادة، والتعبير عن إرادته ماثل فى القرآن، وليس للنبى وخلفائه والرؤساء السياسيين أى سلطة إلا بالتفويض.** ولما كانت الشريعة مفروضة على الجميع، فإن كل مؤمن هو خليفة الله فى الأرض. وأولو الأمر فى المجالين الروحى والزمنى (الدينى والدنيوى) لا يملكون سلطة مطلقة، وانما هم فى خدمة الجماعة لتنفيذ أحكام الشريعة. وليس فى وسعهم أن يدعوا أية عصمة فى تفسير التوجيهات الالهية، لأن هذه العصمة تكمن فى إجماع الأمة، ولا أن يطالبوا بناء على ذلك، بسلطة زمنية غير محدودة.

والحقيقة أنه لا القرآن ولا محمدا حددا شكلا خاصا بالحكومة، فالمسلمون مؤهلون لاختيار الهيكل الحكومى الذى يريدونه بشرط أن يسمح بتطبيق الأوامر الالهية. وباستخدام المعنى الصحيح للمصطلح،

---

(١) - Pour la doctrine islamique, cette source superieur est Dieu. L'expression de Sa volonté réside dans le Coran. Le Prophète, ses successeurs et les chefs politiques n'ont de pouvoir que par délégation.

(١)فإن هذه الدولة، مهما يكن شأنها، لا يمكن أن تمثل «حكومة دينية» (ثيوقراطية)، حتى وإن كان الأساس الجوهرى للشريعة فيها ذا طابع قدسى بتحديده ماهو الخير وماهو الظلم.

إن الجماعة المسلمة لم تنشئ أبدا، لا نظريا ولا عمليا، حكومة دينية (ثيوقراطية)، كما زعموا ذلك فى أكثر الأحيان بغير حق فى الغرب. إن المصطلح ذاته (حكومة دينية) فيه مفارقة. فالخليفة ليس رئيسا دينيا، وفوق هذا لم يحدث أبدا أن حكمت المجتمع الإسلامى طبقة كهنوتية لسبب واضح وهو أن الكنيسة مؤسسة غريبة عن الإسلام. فلا أهلية لأى إنسان أو أية هيئة للقيام بتعديل الشريعة الالهية الموحى بها، أو إصلاحها أو إكمالها.

وهل يمكن، فى المقابل، أن نتحدث حقا عن «ديمقراطية» بمعناها

(١) - cet Etat, quel qu'il soit, ne peut représenter une "théocratie", même si le fondement intrinsèque du droit revêt un caractére sacré, définissant le bon et l'injustice. La communauté islamque n'a jamais constitué, ni en théorie ni en pratique, une théocratie comme on l'a souvent prétendu, fort improprement, en Occident. Le terme est même paradoxal. Le Khalife n'est pas un chef religieux et, de plus, jamais une caste sacerdotale n'a gouverné la société musulmane, pour l'évident raison que l'Eglise est une institution étrangère à l'Islam.

المفهوم بشكل عام؟ فلقد أمكن رؤية ميراث التقاليد الديمقراطية العربية والبدوية فى المؤسسات الإسلامية الأولى. وقوى الطابع «الديمقراطى» على مر الزمن، إذ الواقع أن الإسلام قد حرر الأفراد، أثناء إنتشاره، من طغيان الأديان وتعصب الحكومات. ولقد فهم كثيرون **«المدينة الإسلامية»** على أنها نوع من النظام، الجمهورى، قانونه الاساسى ـ أى دستوره ـ ثابت لا يتغير. وفى واقع الأمر، فإن القرآن يأمر بالشورى بين رئيس الجماعة وأعضائها.

ومن المفيد أن نذكر فرقا جوهريا بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوربى الحديث سواء فى مصدريهما المتخالفين أو فى أهدافهما النهائية. فمصدر القانون فى الديمقراطية الغربية، حسب المفهوم الجارى، هو إرادة الشعب، وهدفه النظام والعدل داخل المجتمع. أما الإسلام، فالقانون صادر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الاساسى الذى ينشده المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله، باحترام الوحى والتقيد به. ويجب على المسلمين أن تتضافر جهودهم، داخل نطاق الجماعة، من أجل بلوغ الغايات التى يفرضها عليهم القرآن. وكل فرد يعتنق الإسلام، إنما يوافق على عقد إعتبارى. ويؤسس القانون والأخلاقيات الاجتماعية الحق على الواجب المفروض على المؤمنين بلا تمييز. ويضمن إحترام القانون بالمقابل حقوق جميع أعضاء الجماعة.

(١) **وهكذا نعثر على حجر الزاوية فى النظام الاخلاقى والشرعى الإسلامى، وهو العدل. إن الإسلام نظام حياة.** ولابد أن يؤدى إحترام قوانينه وتعليماته الى خلق مجتمع متجانس، يغير حياة كل فرد ليشكل من المجموع جسما واحدا هو «الأنا الجماعية».

(٢) **ولقد بينت التجربة التاريخية أن العالم الإسلامى عرف من الطغيان والإضطهاد والظلم أقل قليلا مما عرفته نظم الحكم الأخرى.**

إن روح القرآن ونصه يجب أن توفر مثلما توفره القدوة بمحمد، ضمانات مطلقة لحماية حقوق كل فرد. فعدم الخضوع للظلم، سواء على المستوى السياسى أو المستوى الاجتماعى، ممكن قطعا. فالقرآن يعلن أن ﴿ **الله لا يحب الظالمين** ﴾. ويوصى بالمعاقبة على الظلم، وإبداء مقاومة لا تلين فى وجه الظالم الجبار الذى سيعاقبه الله. فالمؤمن له الحق، إذن، فى معارضة حكومته وإقالتها إذا اقتضى الأمر. ولقد أعلنها أبو بكر، خليفة محمد المباشر، صراحة فى قوله: «أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم». فالسيادة لله

---

(١) - On retrouve alors la pierre angulaire de l'entier système moral et et légal musulman: la justice. L'Islam est une règle de vie.

(٢) - L'expérience historique a montré que le monde islamique connu à peine moins que les autres systems de gouvernement la tyrannie, l'oppression et l'injustice.

http://kotob.has.it

وحده، والحق فى العصيان مضمر منذ البداية ضمن حدود معينة، ولقد قال النبى: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق».

فالحكومة الإسلامية ليست حكومة «دينية» حيث أن صلاحيتها الوحيدة هى تطبيق أحكام الشريعة الموحى بها.[1] وهكذا تتميز السلطة هنا عن النظام الديمقراطى بالمعنى المتعارف عليه بوجه عام، لأنها تفرض نظريا بعض المؤسسات، كما تفرض عمليا عددا من المعايير الأخلاقية، بينما تسمح الديمقراطية ذات الطابع الغربى أن يختار الناس المؤسسات والمعايير حسب الإحتياجات والرغبات السائدة فى عصرهم.

ويتوجب أن يمنع التشريع الإسلامى المفروض من الله والمقبول بحرية من المسلمين، من أن تقوم أغلبيةمصيرها الى زوال، عندما تكون فى السلطة، بظلم أقلية معارضة. ومن الواضح أن الممارسة العملية فى الدول الإسلامية المعاصرة مختلفة عن ذلك كل الاختلاف»[2].

عالمية الإسلام:

«علاوة على أن الإسلام حقيقة إلهية تامة ومثل أعلى روحى كامل، وأنه خلق كيانا سياسيا وتنظيما إجتماعيا خاصين به، فهو عالمية ترتكز على وعى عميق بالتوحيد. وإذ كان دين اليقين الذى يدفع طاقات

---

(١) - Le gouvernement musulman n'est pas "theocratique", puisque sa seule compétence est de faire appliquer les disposituins de la loi révélée.

(٢) - ibid., pp:143-150; 332-33.

المؤمنين وإرادتهم الواعية نحو تنظيم العالم الدنيوى، فإنه يبدو وقد كشف عن وجهين معا هما: الدولية والخصوصية. وتحدد صورة العالم التى يقدمها الدين نظرية معينة فى العلاقات الدولية، سواء فيما يتعلق بتنظيم السلم أو بحالة الحرب، كما تحدد فى التحليل الأخير القواعد المتعلقة بالسلوك فى حالات العداء.

لقد أوجد الوحى القرآنى والحضارة التى نتجت عنه، تصورا خاصا بالإنسان والمجتمع، كما أنهما ساهما فى تشكيل نظام يحكم العلاقات بين الشعوب، بما جلباه من قواعد مبتكرة أو نقلاه من مبادئ قديمة تمثلها العالم الإسلامى وحملها معه أثناء توسعه.

والتصور الإسلامى للكون بسيط ومنطقى الى أبعد حد. فمبدأ وحدانية الله والمفهوم العام للنظام الكونى يستتبعان وحدة الوجود العالمى. ويعلن القرآن أن الله فى طلاقة قدرته قد قرر ـ من أجل خير الإنسانية ـ أن يجزىء وحدة المجتمع الإنسانى، إذ يقول: [1] ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** ﴾. فالكون، إذن، يؤلف كيانا واحدا، لكنه يبدو من الداخل خليطا من طوائف متعددة، خاضعة لشرائع متنوعة عرّف الله بها الناس عن طريق أنبياء مختارين: [2] ﴿ **ولكل قوم هاد** ﴾. إلا أن تلك الأمم لم تلتزم دائما بالشريعة التى جعلها الله لكل منهم، على الرغم من النذر التى جاءتهم. فجاء محمد خاتم النبيين يحمل الرسالة النهائية التى أعدت

---

(١) سورة الحجرات: ١٣ (٢) سورة الرعد: ٧

http://kotob.has.it

لتصحيح الأخطاء أو التحريفات التى لحقت بما سبق من وحى، وليكمل نهائيا نقل الشريعة الالهية الى الناس»[1].

العالم الإسلامى المعاصر:

«إن فعالية الإسلام وحيويته حقيقة واقعة، على المستوى الدينى، يشهد لها استمراريته فى تحول الناس اليه. فالإسلام ينتشر أكثر من أى دين آخر وخاصة فى افريقيا وآسيا، حيث تكتسب البساطة المنطقية لعقيدته ويسر تعاليمه، مهتدين إليه جددا كل عام. ويبدو أن هذا الإنتشار جاء متابعة لحركة كانت قد بدأت لمصلحة الاستعمار الأوربى الذى سهل مبادرات القيام بالدعوة لإخماد الفتن فى الأراضى المحتلة، وأثار بوجوده رد فعل رافض له ومحاولة لإثبات الشخصية المسلمة فى مواجهة الغرب. وفوق هذا، والحق يقال، أن الدين يحمل معه ثقافته ومجموعة قيمه الاخلاقية والاجتماعية. فسلطان الإسلام وإنتشاره مستمران إذن فى ثقه واطمئنان. ويعيش أكثر من نصف المسلمين فى الوقت الحاضر فى أقطار لم يسبق لها أن خضعت للسيطرة السياسية للإسلام على الإطلاق.[2] **وفضلا عن ذلك، فإن عمليات الدخول فى الإسلام قد حدثت بوجه عام بينما كانت القوة العسكرية والثقافية للامبراطورية الإسلامية قد ضعفت.** ومع ذلك، فإن نشاط الدعوة لم يكن منظما بشكل منهجى، ولقد ظل لوقت طويل عملا يقوم به التجار.

---

(١) - ibid. pp.217-20

(٢) - Les conversions eurent d'ailleurs généralement lieu alors que la puissance militaire et culturelle de l'Empire musulman était affaiblie.

لقد عرف الإسلام، بمحافظته على العقيدة، كيف يقاوم تحطيم جماعته السياسية. كذلك، فإن الدول الإسلامية المعاصرة تبحث عن عناصر تحقيق الذات فى ترسيخ العقيدة. ويلاحظ بوجه عام، أن الروح الإسلامية تبدو أقل يقظة فى التنظيمات الأساسية بالبلاد التى خرجت حديثا من سيطرة الاستعمار عنها فى البلاد التى لم تفقد استقلالها قط، باستثناء تركيا.

ولم يكن الإسلام، منذ ظهوره وتحت إدارة النبى، إلا ثوريا معتدلا على المستوى الاجتماعى. ومع ذلك، فإن الشريعة الموحى بها تسمح للجماعة بفرض ضرائب باهظة على الثروات الضخمة، بل إنها ترخص بمصادرتها لإشباع حاجات المؤمنين الفقراء. فهناك تكليف مفروض بالتكافل والتضامن على جميع أعضاء الجماعة المسلمة من أجل تأمين الرخاء والكرامة لجميع الأفراد فى حدود الامكانات المتاحة. ويمثل هذا مظهرا متمما لطابع الجماعة المسلمة، وشيئا تتميز به مبادئ الأخلاق التى طبعها الوحى القرآنى. ولقد أقام الإسلام نظاما اقتصاديا مرتكزا على الأخلاق، وذلك بتنظيم توزيع الدخل عن طريق نظام ضريبى مقدس هو الزكاة، وبادخال مفهوم جديد للملكية الخاصة، التى ليست، فى كلمة موجزة، سوى حق إنتفاع بالنعم التى أفاءها الله على الإنسان. وبذلك حقق الإسلام، من وجهة نظر خاصة، الجمع بين قيمتى رأس المال والعمل»[1].

* *

وخلاصة القول أن الإسلام دين ودولة وحضارة عالمية. وبيده إنقاذ البشرية من طريق الهلاك الذى تتردى فيه.

---

(١) - ibid., pp. 306-7; 327-30, 335-36

http://kotob.has.it

الذين تراجعوا عن الباطل...

- فولـــــــتير
- على عبدالرازق

... ...

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

الذين تراجعوا عن الباطل . . .

اختلاف الناس فى نظرتهم الى مختلف شئون الحياة، واقع مسلّم به... واختلاف الإنسان بالنسبة للحكم فى قضية معينة، واقع ملموس أيضا. فقد يرى الإنسان رأيا فى تلك القضية، ثم يرى فيها رأيا مخالفا، بل قد يكون على النقيض من رأيه الأول، فيما بعد.

والسبب الرئيسى لاختلاف الحكم فى القضية الواحدة، إنما يرجع فى المقام الأول الى اختلاف المعلومات المتوافرة وخبرات الحياة، إضافة الى عوامل أخرى كثيرة.

ولعل أهل الفكر هم أكثر الناس تحولا فى نظراتهم الى أهم قضايا الحياة. وفيما يلى عرض لشئ مما كان من أمر بعض من أثاروا قضايا إسلامية مختلفة الأهمية، كانت لهم فيها آراء أولى، ثم تراجعوا عنها فيما بعد.

* *

قضية ڤولتير

أباطيل ڤولتير:

كتب ڤولتير مسرحية شهيرة بعنوان: «**التعصب أو محمد النبى**» عرضت لأول مرة فى مدينة ليل بفرنسا عام ١٧٤١ . وفى هذه المسرحية يصف النبى بما كان سائدا عنه فى أوربا فى ذلك الوقت ـ ولايزال فى أغلبه الى الآن ـ بأنه كان «دجالا، ومستبدا، تحركه الشهوات الحسية، ومتعطشا للدماء»[1].

(١) الإسلام فى تصورات الغرب ـ تأليف دكتور محمود حمدى زقزوق ـ ص١٤٢

ويعلق الدكتور محمود زقزوق على ذلك بقوله: «لم يكن ڤولتير يريد بمسرحيته إطلاقا أن يصف محمدا كما يعرفه التاريخ، وإنما استخدمه فقط لكى يحول دفة الحديث ضد المسيحية الكاثوليكية وضد خداع القساوسة والخرافات، وضد الدين نفسه.. كما يشير الى ذلك **بفانموللر**. وأقل ما يمكن أن يصف به المرء موقف ڤولتيرهنا هو أنه نفاق كريه وتضليل متعمد وعمل لا أخلاقى. وقد عدل ڤولتير من موقفه بعد ذلك ونعت محمدا بكل أوصاف التمجيد والإكبار. ومن حسن الحظ أن هذا الموقف الأخير هو الذى ذاع وانتشر فى الأوساط الثقافية فى فرنسا آنذاك، كما يشير الى ذلك **بفانموللر** أيضا»[1].

تراجع ڤولتير:

لقد تراجع ڤولتير رويدا رويدا عن أباطيله فى الإسلام ونبيه. ولقد رأينا بعضا من ذلك فيما سبق عرضه. ونضيف الآن مزيدا لما سبق، وهو ما كتبه ڤولتير فى «**دراسة فى الأخلاق والعادات**»، كما جاءت فى المجلد الثالث من أعماله المنشورة عام ١٨٣٥.

يقول ڤولتير عن الإسلام والقرآن ومحمد: «إن معتقدات بمثل هذه البساطة قد جذبت بسرعة الاحترام والثقة فى دينه، وان عقيدة الإيمان بوحدانية الله دون غموض، والتى هى متوافقة مع الفهم البشرى، قد جلبت تحت شريعته جماهير كبيرة من الأمم مابين الشعوب السوداء فى افريقيا الى شعوب الجزر المتناثرة فى المحيط الهندى.

هذا الدين يسمى الإسلام، أى يعنى الخضوع لإرادة الله.

---

(١) المرجع السابق ـ ص١٤٢

وهذه الكلمة الفريدة (الإسلام) لابد لها أن تجلب مهتدين كثير الى هذا الدين.

(١)إن الإسلام الذى يعتنقه أكثر من نصف من يعيشون فى نصف الكرة الأرضية ماكان أبدا باستخدام السلاح، وإنما انتشر بالحماس، وبالقدرة على الإقناع، ثم على وجه الخصوص بالمثال الذى ضربه المنتصرون..

فبمجرد أن اجتاز العرب (المسلمون) حدود بلادهم التى لم يكونوا قد بارحوها من قبل حتى ذلك الوقت، فإنهم لم يجبروا أحدا من الأجانب على الدخول فى الإسلام. لقد أعطوا الشعوب التى خضعت لهم حرية الإختيار ما بين أن يكونوا مسلمين أو أن يدفعوا لهم الجزية. وعندما فقدوا حيازتهم بعد ذلك لأقاليم فى أسيا استولى عليها الأتراك والتتار، فإنهم جعلوا من قاهريهم مهتدين جددا الى الإسلام. وصار الفوضويون التتار شعبا مسلما كبيرا. ومن هنا يظهر الواقع أنهم حولوا الى الإسلام شعوبا أكثر فى البلاد التى لم تخضع لهم.

والقليل الذى أريد أن أقوله إنما يكذّب تماما كل ما يقوله لنا مؤرخونا وخطباؤنا واحكامنا المسبقة. ولكن الحقيقة لابد أن تقال وأن تصفعهم».

---

(١) - Ce ne fut point par les armes que l'Islamisme s'était dans plus de la moitié de notre hémisphère, ce fut par l'enthousiasme, par la persuation, et surtout par l'exemple des vainqueurs.

وفى إستعراض مقارن لما يوجد فى بعض الديانات، يقول ڤولتير: «لا توجد أبدا ديانة لم تأمر بإعطاء الصدقات، لكن الإسلام هو الدين الوحيد الذى جعل منها أمرا شرعيا إيجابيا لاغنى عنه.

وبين القواعد السلبية، وأعنى بذلك التى تحض على الإمتناع عن فعل شئ ما، سوف لا نجد سوى التحريم العام على كل الأمة المسلمة أن تشرب الخمر. وهذا شئ جديد بين الديانات، وتشريع خاص بالإسلام والمسلمين فقط.

ولربما كان تحريم جميع أنواع الميسر والقمار هو التشريع الإسلامى الذى لا نجد له نظيرا فى أى دين آخر سوى الإسلام»[1].

* *

إن فى هذا الذى عرضناه ما يكفى لبيان تراجع ڤولتير عن مواقفه الأولى الرافضة للإسلام، والتحول فيما بعد الى شخص شديد الإعجاب بالإسلام ونبيه.

(١) - OEUVRES de VOLTAIRE, TOME 3, PARIS, 1835, pp.99-100

http://kotob.has.it

أباطيل على عبدالرازق:

فى عام١٩٢٥ أصدر على عبدالرازق كتابه: «**الإسلام وأصول الحكم**»، فأحدث ضجة هائلة فى الأوساط السياسية والفكرية لأنه كما قيل عنه: «نسف فكرة الخلافة» الإسلامية التى عاش عليها المسلمون طوال القرون المتعاقبة منذ ظهور الإسلام حتى العصر الحديث. فالمؤلف يزعم أن الإسلام دين، لادولة، وأن ولاية الرسول على المؤمنين ولاية روحية فقط.

فلقد جعل على عبدالرازق عنوان الباب الثالث هكذا: «**رسالة لاحكم، ودين لادولة**» ثم كتب يقول: «لم يبق أمامك بعد الذى سبق إلا مذهب واحد، وعسى أن تجده منهجا واضحا، لا تخشى فيه عثرات، ولا تلقى عقبات، ولا تضل بك شعابه، ولا يغمرك ترابه، مأمون الغوائل، خاليا من المشاكل. ذلك هو القول بأن محمدا ﷺ ماكان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وانه لم يكن للنبى ﷺ ملك ولا حكومة، وأنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها. ماكان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكا ولا مؤسس دولة، ولا داعيا الى ملك.

قول غير معروف، وربما استكرهه سمع المسلم، بيد أن له حظا كبيرا من النظر وقوة الدليل ـ ص ٦٤ـ٦٥»

«إنما كانت ولاية محمد ﷺ على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشئ من الحكم.

هيهات هيهات، لم يكن ثمت حكومة، ولادولة، ولاشئ من نزعات السياسة، ولا أغراض الملوك والأمراء ـ ص ٨٠»

«ولاية الرسول على قومه **ولاية روحية**، منشؤها إيمان القلب. وخضوعه خضوعا صادقا تماما يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم **ولاية مادية**، تعتمد إخضاع الجسم من غير أن يكون لها بالقلوب اتصال. تلك ولاية هداية الى الله وإرشاد اليه، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض. تلك للدين وهذه للدنيا. تلك لله، وهذه للناس. تلك زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية، ويا بعد مابين السياسة والدين ـ ص ٦٩».

لعل ذلك أهم مايعنينا فى كتاب «الإسلام وأصول الحكم» وزعمه أن الإسلام دين، لادولة، وأنه لاسياسة فى الإسلام، وذلك لعلاقته بأقوال الغربيين الذين تعرفنا على آرائهم فى هذه القضية ـ قضية العلاقة بين الدين والدولة فى الإسلام ـ وأنهم جميعا يقررون أن الإسلام دين ودولة، وأنه لا يمكن فهم السياسة بعيدا عن الدين.

ولسنا هنا فى مجال تفنيد مزاعم على عبدالرازق فى كتابه «الإسلام وأصول الحكم» فذلك شئ فات أوانه، وقد تكفل به كثير من المختصين. ولعل أهم وأخطر من نسف فكرة هذا الكتاب من أساسها ـ إذا استخدمنا الألفاظ التى يتحدث بها المروجون له اليوم ـ هو على

عبدالرازق نفسه، مؤلف الكتاب، كما سنرى بعد قليل.

لكن ما يعنينى الآن هو ذكر بعض الملاحظات حول هذا الكتاب، يراها القارئ بنفسه، وقد أشار اليها كثير من قبل.

ملاحظات على كتاب: الإسلام وأصول الحكم:

١ ـ يقول المؤلف على عبدالرازق: «وليت للقضاء بمحاكم مصر الشرعية منذ ثلاث وثلاثين وثلثمائة وألف هجرة (١٩١٥م)، فحفزنى ذلك الى البحث عن تاريخ القضاء الشرعى. والقضاء بجميع أنواعه فرع من فروع الحكومة.. وكذلك القضاء الشرعى ركن من أركان الحكومة الإسلامية.. وأساس كل حكم فى الإسلام هو الخلافة العظمى ـ على ما يقولون ـ فكان لابد من بحثها.

شرعت فى بحث ذلك كله منذ بضع سنين، ولاأزال بعد عند مراحل البحث الأولى، ولم أظفر بعد الجهد إلا بهذه الورقات..

إن تلك الورقات هى ثمرة عمل بذلت له أقصى ما أملك من جهد، وانقضت فيه سنين كثيرة العدد.. أستطيع العمل فيها يوما ثم تصرفنى الحوادث أياما، وأعود اليه شهرا، ثم انقطع عنه أعواما..»

لقد جاء ذلك فى مقدمة المؤلف المؤرخة فى أول ابريل ١٩٢٥م.

ومعنى هذا أن كتابه: الإسلام وأصول الحكم، الذى جاء فى نحو ١٠٠ صفحة قد استغرق نحو ٩ سنوات...!

٢ ـ وإذا كان المؤلف يستنكر نظام الخلافة الإسلامية بوجه عام، فإن كتابه هذا كتب خلال سنى الحرب العالمية الأولى وما تلاها.

وهو موجّه بالدرجة الأولى ضد الخلافة العثمانية، التى سقطت أثناء تأليف الكتاب، وليس ضد الملك فؤاد كما يقال أحيانا.

ويتضح ذلك من العبارات التالية:

يقول المؤلف فى صفحة ٢٥: «وكذلك الخلفاء من بعد الى يومنا هذا. وما كان لأمير المؤمنين محمد الخامس سلطان تركيا، أن يسكن يلدز لولا تلك الجيوش التى تحرس قصره، وتحمى عرشه، وتفنى دون الدفاع عنه»

ثم يقول فى حاشية نفس الصفحة: «كتبنا ذلك يوم كانت الخلافة فى تركيا، وكان الخليفة محمد الخامس، وقد ذهبت بعد ذلك الخلافة من تركيا، وذهب محمد الخامس وغير محمد الخامس من الخلفاء.»

ويقول فى صفحة ٣٦: «إنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام وعلى المسلمين..»

ومن المعلوم أن السلطان محمد الخامس (رشاد) تولى الحكم عام ١٩٠٩ وتوفى عام ١٩١٨، وأن مصطفى كمال اتاتورك الغى الخلافة فى مارس ١٩٢٤ أى قبل ظهور هذا الكتاب بعام واحد...!

فيا له من كتاب عجيب، يشيع فيه الإضطراب، ويستغرق تأليف بضع صفحات منه سنين عددا!

٣ ـ تولى فؤاد عرش مصر باسم السلطان فؤاد فى اكتوبر ١٩١٧، وصار ملكا بعد خمس سنوات، أى سنة ١٩٢٢. وكان حديث على عبدالرازق عن سطوة العروش وجبروتها موجها الى خلفاء المسلمين،

كما فى قوله: «لولا أن نرتكب شططا فى القول لعرضنا على القارئ سلسلة الخلافة الى وقتنا هذا ليرى على كل حلقة من حلقاتها طابع القهر والغلبة، وليتبين أن ذلك الذى يسمى عرشا لا يرتفع إلا على رؤوس البشر ولا يستقر إلا فوق أعناقهم. وأن ذلك الذى يسمى تاجا لاحياة له إلا بما يأخذه من حياة البشر ـ ص ٢٦»

ولم يكن هذا الحديث موجها الى الملك فؤاد بدليل أنه «حينما وجه بعض خصوم حزبه تهمة أنه قصد بكتابه العرش المصرى والتاج المصرى، يرد عليهم بمقال نشره فى جريدة «السياسة» فى ذلك الوقت. وقد قال فيه تحت عنوان: «**عرش وتاج وذات ملكية**»:

«أولئك ملوك لم يراعوا للعلم حرمة ولا عرفوا للحرية قدرا. وملك مصر (الملك فؤاد) اعزّ الله دولته ـ وما يضيره أن لا يكون خليفة ـ هو أول ملك عرفه الإسلام فى مصر ملكا دستوريا، ينصر العلم والعلماء، ويؤيد فى بلده مبادئ الحرية...»[1]

٤ ـ أشهد على أننى حين بدأت أقرأ فى هذا الكتاب، شعرت فيه بالغربة. فحديث المؤلف الى قارئه يشعره بأن الأول ينتمى الى عالم آخر غير عالم الثانى وكأنه غريب عنه. ولقد تأكد صدق هذا الشعور حين وجدت الدكتور محمد ضياء الدين الريس يقرر نفس الشئ فى كتابه: **الإسلام والخلافة فى العصر الحديث**، إذ يقول فى صفحة ٢١٨: «نلاحظ أن المؤلف يتحدث دائما عن «المسلمين» كأنه أجنبى عنهم

---

(١) الإسلام والخلافة فى العصر الحديث ـ تأليف الدكتور محمد ضياء الدين الريس ـ ص١١٥

وهم منفصلون عنه، فيذكرهم بضمير الغائب. ولا يقول «عندنا» أو «العرب» أو نحو ذلك، كما يقول المسلم عادة. والأمثلة على ذلك كثيرة بطول الكتاب كله. ونذكر بعضا منها:

«والخلافة فى لسان المسلمين (ص٢) ـ على حين نحن نقول: (والخلافة فى) اللغة العربية ـ «فالخليفة عندهم» (ص٣) ـ «والدين عند المسلمين» (ص٣) ـ «إن المسلمين فى ذلك مذهبين» (ص٧) ـ «إن المسلمين إذا اعتبرناهم جماعة منفصلين وحدهم» (ص٣٥)...الخ»

ولعل الفقرة التالية تبين كثيرا من المستور: «فما لهم قد وقفوا حيارى أمام ذلك العلم وارتدوا دون مباحثه حسيرين؟.. مالهم رضوا أن يتركوا المسلمين فى جهالة مطبقة بمبادئ السياسة وأنواع الحكومات عند اليونان، وهم الذين ارتضوا أن ينهجوا بالمسلمين مناهج السريان فى علم النحو.. بل رضوا بأن يمزجوا لهم علوم دينهم بما فى فلسفة اليونان من خير وشر، وإيمان وكفر» (ص٢٤)

علماء المسلمين ـ حسب مزاعم على عبدالرازق ـ مزجوا للمسلمين علوم دينهم بما فى فلسفة اليونان من خير وشر، وإيمان وكفر؟! ...من يصدق هذا؟!

٥ ـ يقول المؤلف: «لقد كان عيسى بن مريم عليه السلام رسول الدعوة الى المسيحية وزعيم المسيحيين، وكان مع هذا يدعو الى الإذعان لقيصر ويؤمن بسلطانه. وهو الذى أرسل بين أتباعه تلك الكلمة البالغة: اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ـ ص٤٩»

إن هذا القول به أخطاء كثيرة لا تحتاج الى كبير عناء من أجل تبيانها والإحاطة بها.

فلقد ولد المسيح من عذراء اسرائيلية ونشأ إسرائيليا ملتزما بشريعة موسى. ولقد ختنته أمه فى اليوم الثامن لميلاده حسبما تقضى به الشريعة. وفى هذا يقول الإنجيل: «ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع.. ولما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صعدوا به الى أورشليم ليقدموه للرب. كما هو مكتوب فى ناموس موسى ـ لوقا٢: ٢١ـ٢٣»

وحين بدأ المسيح دعوته، استفتح حديثه للإسرائيليين باعلان هام قال فيه: «لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ماجئت لأنقض بل لأكمل. فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ـ متى ٥: ١٧ـ١٨»

وفى آخر مواجهة عامة «خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا: على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون ـ متى ٢٣: ١ـ٣»

وكان يمارس الشعائر الإسرائيلية ويحتفل بعيد الفصح وهو من أهم الأعياد الإسرائيلية إذ فرض تذكارا لخروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة موسى. وكان ذلك هو العشاء الأخير الذى حضره مع تلاميذه، حسب

اناجيل متى ومرقس ولوقا.

ولقد أعلن المسيح بوضوح أنه ليس له سلطان على أحد فى هذا العالم إذ قال: «مملكتى ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلَّم الى اليهود ـ يوحنا ١٨ :٣٦»

ولقد انقسم حوله الرأى العام الإسرائيلى ما بين مؤيد ومعارض.

«وكان فى الجموع مناجاة كثيرة من نحوه. بعضهم يقولون أنه صالح. وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب ـ يوحنا ٧ :١٢»

«فكانوا يعثرون به. وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته ـ متى ١٣ :٥٧»

وفى محاولة قام بها خصومه من شيوخ اليهود ومتشدديهم للإيقاع به لدى السلطات الرومانية الحاكمة، «ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة. فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيروديسيين قائلين: يامعلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر الى وجوه الناس. فقل لنا ماذا تظن. أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟

فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربوننى يامراؤون؟ أرونى معاملة الجزية. فقدموا له دينارا. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا لقيصر. فقال لهم: اعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ـ متى ٢٢ :١٥ـ٢١»

تقول **الترجمة الفرنسية المسكونية** فى شرح هذه الفقرة التى صارت تتردد على ألسنة الكثير بمناسبة أو بغير مناسبة:

«الهيروديسيون: مشايعون لعائلة هيرودس الحاكمة، وكانوا أصحاب حظوة عند الرومان، وبالتالى فى خصومة مع طائفة الغيورين اليهود. أما الفريسيون فكانوا يعتبرون الوجود الرومانى بمثابة عذاب من الله للشعب اليهودى. وقد ألحوا على ضرورة التقوى والورع الشخصى.

الجزية: إضافة الى الضرائب غير المباشرة (مثل رسوم المرور والجمارك والضرائب التى لا حصر لها) فإن الأقاليم الخاضعةلروما مطالبة بأن تدفع الجزية للامبراطورية الرومانية. وكانت موحدة على جميع اليهود ولا يعفى منها سوى الاطفال والعجائز. وقد اعتبرت هذه الجزية علامة خزى لخضوع الشعب اليهودى لروما. أما طائفة الغيورين اليهود فكانت تحض مشايعيها على عدم دفعها»

بهذا أكد المسيح أنه لا يحض على الثورة على الحكم الرومانى، وبهذا خاب مسعى أعدائه من اليهود فى الايقاع به لدى السلطات الرومانية الحاكمة.

وأخيرا فما كان اتباع المسيح الذين آمنوا به واستمعوا الى نصائحه، وعلى رأسهم تلاميذه الإثنا عشر، ما كانوا يعرفون باسم المسيحيين أثناء حياته بينهم. وما عرفوا باسم المسيحيين إلا بعد رحيل المسيح بعشرات السنين. فهاهو سفر أعمال الرسل يقول: «خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول ولما وجده جاء به الى أنطاكية. فحدث أنهما اجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا. ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولا ـ أعمال الرسل ١١ :٢٥ـ٢٦»

مما سبق يتبين خطأ ما قاله على عبدالرازق من أن المسيح كان «رسول الدعوة المسيحية وزعيم المسيحيين».

٦ ـ يقول المؤلف: «قد رأيت أن زعامة موسى وعيسى فى أتباعهما لم تكن زعامة ملوكية، ولا كانت كذلك زعامة أكثر المرسلين ـ ص٦٥»

لقد رأينا آنفا ما قيل عن زعامة عيسى للمسيحيين. ونستعرض الآن زعامة موسى مقارنة بزعامة عيسى.

لقد حرر موسى بنى إسرائيل من ظلم فرعون، وأخرجهم من مصر مارا بسيناء فى طريقه الى فلسطين. وفى سيناء تلقى موسى التوراة وبها عقيدة التوحيد، والشريعة التى تنظم شئون حياتهم. وإذ كان عليهم إقتحام أرض فلسطين بالقوة، فقد أمر الله موسى أن يعدهم لذلك بعمل تنظيم عسكرى من وحدات متدرجة، عمادها الشباب من ابن عشرين سنة فصاعدا. ويعطى سفر العدد ـ أحد أسفار التوراة الخمسة ـ معلومات تفصيلية عن التنظيمم العسكرى بقيادة موسى نذكر منها:

«كلم الرب موسى فى برية سيناء فى خيمة الاجتماع فى أول الشهر الثانى فى السنة الثامنة لخروجهم من أرض مصر قائلا: احصوا كل جماعة بنى إسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الأسماء، كل ذكر برأسه. من ابن عشرين سنة فصاعدا، كل خارج للحرب فى إسرائيل ـ عدد ١ :١ـ٣»

«ثم كلم الرب موسى قائلا: ارسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى إسرائيل. رجلا واحدا لكل سبط.. فأرسلهم موسى

ليتجسسوا أرض كنعان وقال لهم اصعدوا من هنا الى الجنوب.. وانظروا الأرض ماهى. والشعب الساكن فيها أقوى هو أم ضعيف. قليل أم كثير.. فصعدوا وتجسسوا الأرض ـ عدد ١٣ :١ـ٢١»

ولما عاد الجواسيس وقدموا تقريرا لموسى ولبنى إسرائيل عن الأرض وشعوبها الساكنة فيها أصابهم الفزع وتقاعسوا عن محاولة اقتحام أرض فلسطين بالقوة، ودعا بعضهم الى الثورة على موسى والإنقلاب على زعامته والرجوع الى مصر. فلقد «رفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة. وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: ليتنا متنا فى أرض مصر، أو ليتنا متنا فى هذا القفر. ولماذا أتى بنا الرب الى هذه الأرض لنسقط بالسيف. تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة. أليس خيرا لنا أن نرجع الى مصر؟

فقال بعضهم لبعض: نقيم رئيسا ونرجع الى مصر ـ عدد ١٤ :١ـ٤»

وفى سيناء حارب بنو إسرائيل بقيادة موسى: «وأتى عماليق وحارب إسرائيل فى رفيديم. فقال موسى ليشوع انتخب لنا رجالا واخرج حارب عماليق. وغدا اقف أنا على رأس التلة وعصا الله فى يدى. ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق.. وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب.. فهزم يشوع عماليق بحد السيف.

فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكارا فى الكتاب وضعه فى مسامع يشوع ـ خروج ١٧ :٨ـ١٤»

«وكلم الرب موسى قائلا: انتقم لبنى إسرائيل من المديانيين.. فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر.. وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ـ عدد ٣١: ١ـ١٠»

«وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن اريحا قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: أنكم عابرون الاردن الى أرض كنعان. فتطردون كل سكان الارض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم. تملكون الارض وتسكنون فيها عدد ٣٣: ٥٠ـ٥٣»

ولقد طبق موسى تشريعات التوراة على الشعب الإسرائيلى ومنها تشريع الاعدام. فقد «خرج ابن امرأة إسرائيلية، وهو ابن رجل مصرى، فى وسط بنى إسرائيل، وتخاصم فى المحلة ابن الإسرائيلية ورجل إسرائيلى. فجدّف ابن الإسرائيلية على الاسم (اسم الرب) وسب. فأتوا به الى موسى..

فكلم الرب موسى قائلا: اخرج الذى سب الى خارج المحلة، فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ويرجمه كل الجماعة. وكلم بنى إسرائيل قائلا: كل من سب إلهه يحمل خطيئته. ومن جدّف على اسم الرب فانه يقتل. يرجمه كل الجماعة رجما. الغريب كالوطنى عندما يجدف على الاسم يقتل..

فكلم موسى بنى إسرائيل أن يخرجوا الذى سب الى خارج المحلة ويرجموه بالحجارة. ففعل بنو إسرائيل كما أمر الرب موسى ـ لاويين ٢٤: ١٠ـ٢٣»

ونظم موسى القضاء فى بنى إسرائيل، بناءعلى نصيحة حميه يثرون كاهن مديان، إذ جعل محاكم فرعية تقضى للشعب فلا يحمل موسى العبء وحده. فقد «حدث فى الغد أن موسى جلس ليقضى للشعب. فوقف الشعب عند موسى من الصباح الى المساء. فلما رأى حمو موسى كل ماهو صانع للشعب، قال ما هذا الأمر الذى أنت صانع للشعب؟! ..فقال موسى لحميه أن الشعب يأتى الى.. إذا كان لهم دعوى يأتون إلى فأقضى بين الرجل وصاحبه واعرفهم فرائض الله وشرائعه.

فقال حمو موسى له ليس جيدا الأمر الذى أنت صانع.. لأن الأمر أعظم منك. لا تستطيع أن تصنعه وحدك. الآن اسمع لصوتى فأنصحك.. أنت تنظر من جميع الشعب ذوى قدرة خائفين الله مبغضين الرشوة وتقيمهم عليهم رؤساء.. فيقضون للشعب كل حين. ويكون أن الدعاوى الكبيرة يجيئون بها اليك. وكل الدعاوى الصغيرة يقضون هم فيها.. فسمع موسى لصوت حميه وفعل كما قال ـ خروج ١٨: ١٣ـ٢٤»

ولقد كان وصف الجماعة الإسرائيلية التى حررها موسى واخرجها من ظلم فرعون: «فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من أرض

مصر.. ناداه الرب من الجبل قائلا هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى إسرائيل.. ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى تكونون لى خاصة من بين جميع الشعوب فإن لى كل الارض. وانتم تكونون لى **مملكة كهنة** وأمة مقدسة ـ خروج ١٩ :١ـ٦»

مما سبق يتبين بوضوح خطأ ما قاله على عبد الرازق من «أن زعامة موسى وعيسى فى أتباعهما لم تكن زعامة ملوكية». فلقد أخطأ مرتين: الأولى، حين سوى بين زعامتى موسى وعيسى، إن صح الأخذ بتعبيره هذا. فزعامة موسى روحية ومادية لاشك فيها. وأما زعامة عيسى فلم تكن على المسيحيين لأنه ماجاء إلا «معلما» كما تعلن الأناجيل كثيرا، إضافة الى أنه وتلاميذه وتابعيه ماكانوا جميعا يظنون أنهم يشكلون طائفة جديدة منفصلة عن اليهودية، وما دعى أتباعه بالمسيحيين إلا بعد رحيله بعشرات السنين.

٧ ـ يعترف على عبدالرازق بأن المسلمين فى حاجة الى حكومة، فيقول: «المعروف الذى ارتضاه علماء السياسة أنه لابد لاستقامة الأمر فى أمة متمدينة، سواء أكانت ذات دين أم لادين لها، وسواء أكانت مسلمة أم مسيحية أم يهودية أم مختلطة الأديان ـ لابد لأمة منظمة، مهما كان معتقدها، ومهما كان جنسها ولونها ولسانها، من حكومة تباشر شئونها، وتقوم بضبط الأمر فيها، قد تختلف أشكال الحكومة وأوصافها.. قد يتنازع علماء السياسة فى تفضيل نوع من الحكومة على نوع آخر. ولكنا لا نعرف لأحد منهم ولا من غيرهم نزاعا فى أن

أمة من الأمم لابد لها من نوع من أنواع الحكم. ولهم فى ذلك أدلة ليس من غرضنا هنا أن نعرض لها. فليس ذلك بموضعها، على أننا لانشك فى أن ذلك الرأى فى جملته صحيح، وأن الناس لايصلحون فوضى لا سراة لهم. ولعل أبا بكر رضى الله عنه إنما كان يشير الى ذلك الرأى حينما قال فى خطبته: لابد لهذا الدين ممن يقوم به.

ولعل الكتاب الكريم ينحو ذلك المذهب أحيانا. قال تعالى فى سورة الزخرف: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات، ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾

إن يكن الفقهاء أرادوا بالامامة والخلافة ذلك الذى يريده علماء السياسة بالحكومة كان صحيحا ما يقولون من أن إقامة الشعائر الدينية وصلاح الرعية، يتوقفان على الخلافة بمعنى الحكومة، فى أى صورة كانت الحكومة، ومن أى نوع: مطلقة أو مقيدة.. لاينتج لهم الدليل أبعد من ذلك. أما إن أرادوا بالخلافة ذلك النوع الخاص من الحكم الذى يعرفونه فدليلهم أقصر من دعواهم وحجتهم غير ناهضة ـ ص ٣٣ـ٣٥»

ثم هو يعترف كذلك بأن الخلافة التى بدأت عقب وفاة سيدنا رسول الله إنما كانت عملا سياسيا ولم تكن عملا دينيا، إذ يقول: «طبيعى ومعقول الى درجة البداهة أن لا توجد بعد النبى زعامة دينية، وأما الذى يمكن أن يتصور وجوده بعد ذلك فإنما هو نوع من الزعامة جديد،

ليس متصلا بالرسالة ولاقائما على الدين. **هو إذن نوع لادينى.**

وإذا كانت الزعامة لادينية فهى ليست شيئا أقل ولا أكثر من **الزعامة المدنية أو السياسة، زعامة الحكومة والسلطان، لازعامة الدين، وهذا الذى كان..**

لم يكن خافيا على العرب أن الله تعالى قد هيأ لهم أسباب الدولة ومهد لهم مقدماتها، بل ربما كانوا قد أحسوا بذلك من قبل أن يفارقهم رسول الله ﷺ. ولكنهم حين قبض رسول الله ﷺ أخذوا من غير شك يتشاورون فى أمر تلك **الدولة السياسية**، التى لم يكن لهم مناص من أن يبنوها على أساس وحدتهم الدينية التى خلفها فيهم النبى عليه السلام..

وإذا أنت رأيت كيف تمت البيعة لأبى بكر واستقام له الأمر، تبين لك أنها كانت بيعة سياسية ملكية، عليها كل طوابع الدولة المحدثة..

ومازعم أبو بكر ولا غيره من خاصة القوم أن إمارة المسلمين كانت مقاما دينيا. ولا أن الخروج عليها خروج على الدين.

وإنما كان يقول أبو بكر: «أيها الناس : إنما أنا مثلكم، وإنى لا أدرى. لعلكم ستكلفوننى ماكان رسول الله ﷺ يطيق. إن الله اصطفى محمدا على العالمين، وعصمه من الآفات. **وإنما أنا متبع ولست مبتدعا** ـ ص ٩٠ـ٩٤»

إن ما اعترف به على عبدالرازق هو أن الخلافة التى قامت بعد سيدنا

رسول الله كانت تمثل حكومة دولة سياسية، لا دولة دينية. فالإسلام حقا دين ودولة لاتعرف الحكومة الدينية (الثيوقراطية) مثل تلك التى قامت فى الغرب المسيحى وزعمت أنها تحكم باسم الرب...!

٨ ـ يقول على عبدالرازق فى ذم الخلافة: «لولا أن نرتكب شططا فى القول لعرضنا على القارئ سلسة الخلافة الى وقتنا هذا ليرى على كل حلقة من حلقاتها طابع القهر والغلبة، وليتبين أن ذلك الذى يسمى عرشا لا يرتفع إلا على رؤس البشر، ولا يستقر إلا فوق أعناقهم. وإن ذلك الذى يسمى تاجا لا حياة له إلا بما يأخذ من حياة البشر، ولا قوة إلا بما يغتال من قوتهم، ولا عظمة له ولا كرامة إلا بما يسلب من عظمتهم وكرامتهم ـ ص٢٦»

ويقول أيضا: «إنما كانت الخلافة ولم تزل نكبة على الإسلام وعلى المسلمين، وينبوع شر وفساد.. هل كان فى شئ من مصلحة المسلمين لدينهم ودنياهم تلك التماثيل الشلاء التى كان يقيمها ملوك مصر ويلقبونها خلفاء ـ ص٣٦ـ٣٧»

إن الخلافة نظام حكم سياسى، يجمع شتات المسلمين فى كيان سياسى موحد. وهى ككل نظام حكم معرض للفساد أو الصلاح. وإن المساوئ التى ذكرها على عبد الرازق ليست قاصرة على نظام الخلافة، بل إنها شوهدت فى أغلب نظم الحكم فى النصف الثانى من القرن العشرين، فى الشرق وفى الغرب، مهما كانت المسميات والأوصاف. وتتحدد صلاحية نظام الحكم بمقدار ما يصحح من أخطائه ويطور من

نظم أدائه ويوسع المشاركة الشعبية آخذا فى الإعتبار آراء معارضيه، وذلك كله من أجل تحقيق الهدف الحقيقى من وجوده، ألا وهو خدمة مصالح الشعب فى عدل واستقامة.

ويعلم كل مسلم، كما يعلم على عبدالرازق، أن الإسلام **دين الجماعة**. ولقد سجل هذا فى كتابه إذ قال: «نحن لانشك فى أن الإسلام وحدة دينية، والمسلمين من حيث هم جماعةواحدة. والنبى ﷺ دعا الى تلك الوحدة وأتمها بالفعل قبل وفاته. وأنه ﷺ كان على رأس هذه الوحدة الدينية، إمامها الأوحد ومدبرها الفذ.. وفى سبيل هذه الوحدة الإسلامية ناضل عليه السلام بلسانه وسنانه، وجاءه نصر الله والفتح..

من كان يريد أن يسمى تلك الوحدة الدينية دولة، ويدعو سلطان النبى ﷺ ذلك السلطان النبوى المطلق ملكا أو خلافة.. فهو فى حل من أن يفعل. فإن هى إلا أسماء لاينبغى الوقوف عندها ـ ص٧٠»

لقد كان الواجب يقضى بأن يقدم على عبدالرازق البديل المقترح لنظام الخلافة بما يتجنب مساوءها ويحقق فى نفس الوقت وحدة بين المسلمين ذات كيان فعال ينهض بهم أو على الأقل يدفع عنهم خطر الأعداء والمتربصين. فالإسلام دين الجماعة مبدأ معلوم من الدين بالضرورة، ويكفى هنا أن نذكر بهذه الحقائق:

[١] يقف المسلم فى صلاته اليومية بين يدى الله ـ سبحانه وتعالى

ويقرأ سورة الفاتحة وفيها يقول مخاطبا ربه:

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

إنه يردد ذلك كل يوم ١٧ مرة على الأقل، يخاطب ربه بلغة الجماعة التى هو منها ويهمه صلاح أمرها فى الدنيا والآخرة. إنه لايقول بلغة إنعزالية: اياك أعبد واياك أستعين، إنما هو يتحدث بلغة الجماعة...

[٢] يقول الحق فى القرآن العظيم:

﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون ﴾(١)

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾(٢)

لم يقدم على عبد الرازق البديل الذى يبنى، لكنه قدم الهدم والتخريب..!

٩ـ وأخيرا، وليس آخرا كما يقال، يعترف على عبدالرازق بأن الوريقات التى قدمها فى كتابه واستغرقت منه تلك السنين الطوال، فى حاجة الى مزيد من البحث والدراسة، إذ يقول فى مقدمته:

«شرعت فى بحث ذلك كله منذ بضع سنين، **ولا أزال بعد عند مراحل البحث الأولى**، ولم أظفر بعد الجهد إلا بهذه الوريقات أقدمها على استحياء.. **وما أدعى أننى قد احطت فيها بجوانب ذلك البحث..**

وإنى لأرجو ـ إن أراد الله لى مواصلة البحث ـ أن أتدارك

(١) الأنبياء: ٩٢ (٢) آل عمران: ١٠٥

ما أعرف فى هذه الوريقات من نقص.. فلا غرو ان جاء عملا دون ما أردت له من كمال، وما ينبغى له من اتقان»

ومن المعلوم أن مزيدا من البحث والدراسة قد يدفع بالباحث إما الى تأكيد ما توصل اليه من قبل، أو الى التراجع عن تلك النتائج والاعتراف بخطئها.

ولقد كان الموقف الأخير هو ما اتخذه على عبد الرازق، ولكن بعد مرور أكثر من ٢٥ سنة أثار فيها زوابع كثيرة ألهبت حماس أعداء الوحدة الإسلامية، ولاتزال الى الآن...

تراجع على عبد الرازق:

نشرت مجلة «**رسالة الإسلام**» فى عددها الصادربتاريخ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ ـ ابريل ١٩٥١ مقالا بعنوان كالآتى، قال فيه:

الإجتهاد فى نظر الإسلام

لحضرة صاحب العزة الكاتب الكبير

الأستاذ الكتور أحمد أمين بك

«كنت أتجادل فى الشهر الماضى مع معالى الاستاذ على عبدالرازق باشا، وكنا نستعرض حال المسلمين وما وصلوا اليه من جمود، فقال: ان دواء ذلك أن نرجع الى ما نشرته قديما من أن **رسالة الإسلام روحانية فقط**، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل.

فقلت ان رأيى أن رسالة الإسلام أوسع من ذلك وهى **روحانية ومادية معا** بدليل ما ورد فى القرآن من نظام البيع والشراء والاجارة

والمعاملات المالية، ومسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونحو ذلك. والذى يحل مشاكلنا هو فتح باب الاجتهاد بعد أن أغلقه العلماء، ولم يكن إغلاق باب الاجتهاد باجماع بعض العلماء واصدار قرار منهم، إنما كان مجرد حالة نفسية واجتماعية، ذلك أنهم لما رأوا غزو التتار لبغداد وعسفهم بالمسلمين فخافوا على الإسلام منهم، ورأوا ان أقصى ما يصبون اليه هو أن يصلوا الى الاحتفاظ بتراث الأئمة مما وضعوه واستنبطوه وأنهم لا يؤملون أكثر من ذلك نظرا لحالتهم النفسية المتدهورة، فسموا هذا اقفال باب الاجتهاد ونحن نريد أن نفتحه..

والاجتهاد الذى نريده لا يصح أن يعطى لكل شخص وإلا كانت الفوضى والاضطراب، إنما نريده لأهل الحل والعقد الذين تتوافر فيهم شروطه كبعض أعضاء مجلس النواب والشيوخ وبعض رجال العلم ونحو ذلك. والإسلام مرن بطبعه يتحمل مثل ذلك، فقد جعل الاجتهاد مصدرا من مصادر الشريعة، وأباح النبى ﷺ لمعاذ بن جبل أن يجتهد برأيه، وأباح للصحابة أن يجتهدوا بآرائهم مع رأيه فى شئون الدنيا..

وعلى الجملة لا ينقذ المسلمين إلا فتح باب الاجتهاد الذى أغلقوه، فضيقوا على أنفسهم واسعا» (أ.هـ)

لقد كان هذا ما كتبه الدكتور أحمد أمين وعبر فيه عن رأيه من أن رسالة الإسلام **روحانية ومادية معا**، وذلك خلافا لرأى الاستاذ على عبدالرازق الذى يرى أن **رسالة الإسلام روحانية فقط**.

لقد قرأ الاستاذ على عبدالرازق مقال الدكتور أحمد أمين، هذا وأرسل تعليقا عليه نشرته مجلة «**رسالة الإسلام**» فى عددها الذى صدر فى رمضان ١٣٩٠هـ ـ يوليو ١٩٥١م ، بعنوان:

تعليق على مقال:

الاجتهاد فى نظر الإسلام

لحضرة صاحب السعادة على عبد الرازق باشا

ويرى القارئ **صورة طبق الأصل** من هذا المقال فى الصفحتين المتقابلتين، وفيه **يتبرأ على عبدالرازق من مقولة أن رسالة الإسلام روحانية فقط، إذ يقول: «ما أرى فى الأمر إلا أن هناك خطأ فى التعبير جرى به لسانى فى المجلس الذى كنا نتجادل فيه ونستعرض حال المسلمين، وما أدرى كيف تسربت كلمة روحانية الإسلام الى لسانى يومئذ، ولم أرد معناها، ولم يخطر لى ببال؟ بل لعله الشيطان ألقى فى حديثى بتلك الكلمة ليعيدها جذعة تلك الملحمة التى كانت حول كتاب «الإسلام وأصول الحكم» والتى أشرت اليها آنفا، وللشيطان أحيانا كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس»**

ولعله من المفيد هنا أن نذكّر القارئ بما قاله على عبدالرازق فيما يتعلق بالروحية والمادية وما يناظرهما:

«ولاية الرسول على قومه ولاية روحية منشؤها القلب. وخضوعه خضوعا صادقا يتبعه خضوع الجسم، وولاية الحاكم ولاية مادية، تعتمد اخضاع الجسم من غير ان يكون لها بالقلوب اتصال.

تلك ولاية هداية الى الله وارشاد اليه، وهذه ولاية تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض.

تلك للدين، وهذه للدنيا.

تلك للـــه، وهذه للناس.

تلك زعامة دينية، وهذه زعامة سياسية، ويا بعد ما بين السياسة والدين ـ ص٦٩»

ومنه يتبين ـ وفق مفهوم على عبد الرازق ـ الآتى:

ولاية الرسـول	ولايـــة الحـاكم
روحيـــــة	ماديـــــة
هداية الى الله	تدبير لمصالح الحياة وعمارة الأرض
للديـــــن	للدنيـــــا
للـــــــه	للنـــــاس
زعامة دينيـة	زعامة سياسية
فهما على طرفى نقيض، لا يجتمعان لأنه: «يا بعد ما بين السياسة والدين»	

لقد كان حديث على عبدالرازق عن «الروحانية» ـ كما جاء فى اعترافاته ـ من عمل الشيطان...

﴿ لعنه الله، وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا. ولأضلنهم، ولأمنينهم، ولآمرنهم...﴾[1].

(١) النساء: ١١٨ـ١١٩

http://kotob.has.it

صورة طبق الأصل

من مقال الاستاذ على عبد الرازق

المنشور فى مجلة «رسالة الإسلام»

الصادرة فى رمضان ١٣٩٠هـ ـ يوليو ١٩٥١م

بعنـــــوان

تعليق على مقال:

الاجتهاد فى نظر الإسلام

لحضرة صاحب السعادة على عبد الرازق باشا

http://kotob.has.it

تعليق على مقال :

الاجتهاد فى نظر الإسلام

لحضرة صاحب السعادة على عبد الرازق باشا

قرأت فى العدد الأخير من مجلة (رسالة الإسلام) المؤرخ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠هـ ، إبريل سنة ١٩٥١م ، بحثا قيما لحضرة صاحب العزة الكاتب الكبير الأستاذ الدكتور أحمد أمين بك تحت عنوان : « الاجتهاد فى نظر الإسلام » وقد جاء فى صدر هذا البحث أنه كان يتجادل معى ، وكنا نستعرض حال المسلمين وما صاروا إليه من جمود ؛ فقلت فيما قلت : « إن دواء ذلك أن نرجع إلى ما نشرته قديماً من أن رسالة الإسلام روحانية فقط ، ولنا الحق فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل . . . الخ .

وقفت أمام ناظرى كلمة « رسالة الإسلام روحانية فقط » ولم تشأ أن تمر من غير أن تثير ذكرى قصة قديمة لهذه الكلمة معى ، وتبعث من جديد فى خاطرى صوراً من هذا الصراع الذى احتدم يوم نشرت كتاب « الإسلام وأصول الحكم » فقد زعم الطاعنون الذين جعلوا فى قلوبهم الحمية يومئذ : أننى فى ذلك البحث قد جعلت الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة ، ورتبوا على ذلك ما طوعت لهم أنفسهم أن يفعلوا ، أما أنا فقد رددت ذلك عليهم وقلت لهم يومئذ صادقا ومخلصاً : « إننى لم أقل ذلك مطلقاً لا فى هذا الكتاب ولا فى غيره ، ولا قلت شيئا يشبه ذلك الرأى أو يدانيه » ثم كان ما كان من لدد فى الخصومة ، وتمادٍ فى الحق وفى الباطل ، ومصابرة فى الهجوم وفى الدفاع إلى أن قامت هدنة طال أمدها ، والله وحده يعلم هل تمت الرواية أم لم تتم فصولا !.

http://kotob.has.it

أسوق هذا الحديث ليذكر الأستاذ الكاتب الكبير أن فكرة روحانية الاسلام لم تكن رأياً لى يوم نشرت البحث المشار إليه ، وأننى رفضت يومئذ رفضاً باتاً أن يكون ذلك رأيى ، فما ينبغى ـ وذلك موقنى ـ أن أعود اليوم فأقول إننى أدعو إلى أن نرجع إلى ما نشرته قديما من « أن رسالة الاسلام روحانية فقط » لأن ذلك لم يكن رأيى فى تلك الرساله ولا فى غيرها .

أرجو ألا يظن صديقى أحمد أمين بك أو من يقرأ كلمتى هذه أننى أمارى من قريب أو من بعيد فى صحة الحديث الذى رواه عنى ، فإنى لأذكر هذا الحديث نفسه ، وأذكر أين ومتى كان ؟ وما ينبغى لشىء يرويه الدكتور أحمد بك أمين أن يكون موضعاً للمراء .

وما أرى فى الأمر إلا أن هناك خطأ فى التعبير جرى به لسانى فى المجلس الذى كنا نتجادل فيه ونستعرض حال المسلمين ، وما أدرى كيف تسربت كلمة روحانية الاسلام إلى لسانى يومئذ ، ولم أرد معناها ، ولم يكن يخطر لى ببال ؟ بل لعله الشيطان ألقى فى حديثى بتلك الكلمة ليعيدها جذعة تلك الملحمة التى كانت حول كتاب « الاسلام وأصول الحكم » والتى أشرت إليها آنفا ، وللشيطان أحيانا كلمات يلقيها على ألسنة بعض الناس .

هذه كلمة غير ذات بال لا تمس موضوع المقال ، ولكنها تصحح وضعاً شخصيا أرى من الانصاف أن يصحح ، أما الموضوع فى ذاته فقد رأى الأستاذ الكاتب الكبير : « أن نظريته تؤدى إلى نفس النتيجة التى أراها » وإنه ليشرح صدرى أن يرى الأستاذ الكبير أن غايته تتفق وغايتى ، وذلك فضل من الله كبير ، وما يسرنى أن لى به حمر النعم . ومن يدرى ؟ فلعلنا لو حققنا النظر فيما يظنه الأستاذ الكبير خلافا بيننا فى المقدمات لا فى النتائج لوجدنا أكثره يرجع إلى اختلاف فى الأسماء وفى تحديد ما تحمل من معان ، ولعلنا لو استطعنا أن نحدد الكلمات التى يقوم الخلاف حول معانيها ومدلولاتها مثل كلمات روحانية الاسلام ، والاجتهاد المطلق الخ لوجدنا بعون الله الاتفاق تاماً بيننا فى المقدمات والنتائج وفى المبادىء والغايات ؟

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

معارضة كتاب: الإسلام وأصول الحكم

الآن، وبعد أن وضح الحق واستبان، نرى من المناسب أن نذكر شيئا مما قيل فى معارضة كتاب: الإسلام وأصول الحكم، الذى أصدره على عبد الرازق عام ١٩٢٥. ونكتفى هنا بما كتبه أثنان من زعماء الفكر والسياسة، حين ظهور الكتاب، وهما فوق مستوى الشبهات علما ودينا وسماحة.

كتب سعد زغلول يقول: «لقد قرأت كتاب الإسلام وأصول الحكم بامعان لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ والصواب. فعجبت، أولا، كيف يكتب عالم دينى بهذا الأسلوب فى مثل هذا الموضوع؟!

لقد قرأت كثيرا للمستشرقين ولسواهم فما وجدت ممن طعن منهم فى الإسلام حِدَّة كهذه الحدة فى التعبير، على نحو ما كتب الشيخ على عبدالرازق..

لقد عرفت أنه جاهل بقواعد دينه، بل بالبسيط من نظرياته، وإلا فكيف يدعى أن الإسلام ليس مدنيا؟! ولا هو بنظام يصلح للحكم؟!

فأية مدنية من نواحى الحياة لم ينص عليها الإسلام؟ هل البيع؟ أو الاجارة؟ أو الهبة؟ أو أى نوع آخر من المعاملات؟!

ألم يدرس شيئا من هذا فى الأزهر؟ أو لم يقرأ أن أمما كثيرة حكمت بقواعد الإسلام فقط عهودا طويلة كانت أنضر العصور؟ وأن أمما لاتزال تحكم بهذه القواعد، وهى آمنة مطمئنة؟ فكيف لا يكون الإسلام مدنيا ودين حكم؟!

وأعجب من هذا ما ذكره فى كتابه عن الزكاة! فأين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الأزهرية؟! والذى يؤلمنى حقا أن كثيرا من الشبان الذين لم تقو مداركهم فى العلم القومى، والذين تحملهم ثقافتهم الغربية على الإعجاب بكل جديد، سيتحيزون لمثل هذه الأفكار، خطأ كانت أو صوابا، دون تمحيص ولا درس، ويجدون تشجيعا على هذا التحيز فيما تكتبه جريدة (السياسة) وأمثالها من الثناء العظيم على الشيخ على عبد الرازق، ومن تسميتها له بالعالم المدقق، والمصلح الإسلامى، والاستاذ الكبير...الخ

وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأى وبين قواعد الإسلام الراسخة التى تصدى لها»[1].

* *

مقال محمد رشيد رضا:

كتب محمد رشيد رضا مقالا بعنوان: «الإسلام وأصول الحكم ـ بحث فى الخلافة والحكومة فى الإسلام ـ بل دعوة جديدة الى نسف بنائها وتضليل أبنائها»، قال فيه:

«مازال أعداء الإسلام يجاهدون بالسيف والنار، وبالكيد والدهاء، وبالآراء والأفكار، وبافساد العقائد والأخلاق، وبالطعن فى جميع مقومات هذه الأمة، وتقطيع جميع الروابط التى تربط بها شعوبها وأفرادها ـ ليسهل جعلها طعمة للطامعين وفريسة لوحوش المستعمرين!

وهذه الحرب السياسية العلمية الإسلامية أضر وأنكى من الحروب

(١) أزمة الفكر الإسلامى المعاصر ـ تأليف دكتور محمد عمارة ـ ص٨٥ـ٨٧

الصليبية باسم الدين.. وقد كان آخر فوز لهذه الحرب على المسلمين إلغاء الترك لمنصب الخلافة من دولتهم، وتأليفهم حكومة جمهورية غير مقيدة بالشرع الإسلامى، فذعر لهذا العالم الإسلامى، وطرب له الافرنج ومروجو سياستهم..

وبينا نحن كذلك اذا ببدعة حديثة لم يقل بمثلها أحد انتمى الى الإسلام ـ صادقا ولا كاذبا ـ **بدعة شيطانية** لم تخطر فى بال سنى ولا شيعى ولا خارجى، بل لم تخطر على بال الزنادقة. والناعق بهذه البدعة من العلماء المتخرجين فى الأزهر من قضاة المحاكم الشرعية (إن هذا لشئ عجاب)..

أول ما يقال فى وصف هذا الكتاب أنه هدمٌ لحكم الإسلام وشرعه من أساسه، وتفريق لجماعته، وإباحة مطلقة لعصيان الله ورسوله فى جميع الأحكام الشرعية الدنيوية، وتجهيل للمسلمين كافة من الصحابة والتابعين والأئمة. ولا نقول شيئا فى شخص صاحبه فحسابه على الله»[1].

* *

حقا لقد كان كتاب: الإسلام وأصول الحكم، الذى ألفه على عبدالرازق، من عمل الشيطان، كما اعترف بذلك هو نفسه...

---

(١) الإسلام والخلافة فى العصر الحديث ـ تأليف دكتور محمد ضياء الدين الريس ـ ص١٢٢ـ١٢٣

http://kotob.has.it

خلاصـــة
الفكر الغربى فى:

- محمد النبى والحاكم.
- القـــــــــــرآن.
- صفـــاء العقيدة الإسلامية وقوتها.
- الإسلام دين وتقدم وحضارة عالمية.
- الفتوحـات الإسلامية.
- الغرب عاش على تشويه الإســلام.
- الإسلام والسياســـة.
- الحكومة الإسلاميـــة.
- المستقبل للإســـلام.
- الإسلام هو الحـــل.

http://kotob.has.it

http://kotob.has.it

خلاصة

عرضنا فيما سبق مقالات نخبة معروفة من الغربيين فى الإسلام وكتابه ونبيه، وهم نخبة من العلماء والمفكرين والمستشرقين على امتداد اكثر من قرنين من الزمان. ومما لا شك فيه أنه من المفيد للمسلم ولغير المسلم أن يلم بمختلف جوانب المنظور الغربى للإسلام. وتؤكد خبرات الحياة الإنسانية أن الأغلبية العظمى من الناس تعيش فى نعماء لا تقدرها حق قدرها إلا ذا بدأت تتعرض الى زوال، أو صارت موضع غبطة من آخرين حرموا منها. ويعبر الناس عن ذلك فى أمثالهم الجارية ـ كما فى موضوع الصحة مثلا ـ بقولهم: الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفه إلا المرضى...

ونريد الآن أن نورد خلاصة لأقوال تلك النخبة من رجالات الغرب بتصنيفها موضوعيا، وهذا بدوره يبين أن هناك ـ بوجه عام ـ وحدة فكر وعناصر اتفاق بينهم حول كثير من الموضوعات.

محمد النبى والحاكم

❑ يجب أن يسمى منقذ الإنسانية. وإنى أعتقد لو أن شخصا مثله تولى الحكم المطلق للعالم المعاصر، لنجح فى حل مشاكله بطريقة تجلب له ماهو في أشد الحاجة اليهما من سلام وسعادة.

چورچ برنارد شو

❑ لكن محمدا كان هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى بلغ أعلى درجات النجاح على المستويين الدينى والدنيوى.
وبسبب هذا الجمع الذى لا نظير له بين الدين والدنيا، أرى أن محمدا من حقه أن يعتبر أعظم الشخصيات البارزة أثرا فى تاريخ الإنسانية.

مايكل هارت

القـــرآن

❑ باعتراف الجميع، يحتل القرآن مكانة هامة بين الكتب الدينية العظيمة فى العالم. لقد خلق طورا جديدا فى الفكر الإنسانى، ونوعا حديثا من الشخصية الإنسانية. ففى بداية الأمر، حول القرآن عددا من القبائل الصحراوية غير المتجانسة فى شبه الجزيرة العربية الى أمة من الأبطال.

مرجليوث

❑ إنى أعتقد أن القرآن وغيره من تعبيرات المنظور الإسلامى، ينطوى على ذخيرة هائلة من الحق الالهى، الذى مازال يجب علىّ أنا وغيرى من الغربيين أن نتعلم منه الكثير.

مونتجومرى وات

❑ ما ان انقضت مائة عام حتى استطاع هؤلاء المتوحشون المغمورون أن يصبحوا قوة عالمية عظمى.

هربرت فيشر

❑ لايزال القرآن، فى واقع الأمر، يشتهر الى اليوم بأنه الكتاب الأكثر تميزا وسموًا، الذى كتب بهذه اللغة (العربية).

ڤولتير

❑ احتفظ القرآن بمنزلته الثابتة، كنقطة البداية الرئيسية لفهم الدين، وصار يعلن دائما عن عقيدة توحيد الله فى سمو وجلال وصفاء دائم، مع اقتناع يقينى متميز من الصعب أن يوجد ما يفوقه خارج نطاق الإسلام.

ادوارد مونتيه

صفاء العقيدة الإسلامية وقوتها

❑ إن الإنطباع النقى الكامل الذى حفره (محمد) فى الأذهان فى مكة والمدينة، لايزال مصونا الى اليوم بعد انقضاء اثنى عشر قرنا.

ادوارد جيبون

❑ إن عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة على وحدانية الله.

هذه هى كلمات السورة رقم ١١٢ تقول: ﴿ **الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوا أحد.** ﴾ إننى أقول أن هذه الكلمات أخضعت له الشرق اكثر مما فعله سيفه.

ڤولتير

الإسلام دين وتقدم وحضارة عالمية

❑ لقد كان الإسلام تأسيسا لدين جديد، وامبراطورية جديدة، وحضارة جديدة.

لقد قامت حضارة أصيلة مستوحاة من العقيدة الإسلامية، ومتمتعة بحمايةالدولة الإسلامية، ومدعمة بثراء اللغة العربية، حضارة تنمو وتتسع وتعيش طويلا وقد صنعها الرجال والنساء من مختلف الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كل شئ فيها بالعروبة والمبادئ والقيم الإسلامية.

برنارد لويس

❑ إن الإسلام فى جوهره دين عقلانى وفق اوسع المعانى لهذا المصطلح.

ادوارد مونتيه

❑ لقد أظهرت الرسالة القرآنية وتعاليم النبى أنها تقدمية بشكل جوهرى. وتفسر هذه الخصائص المميزة انتشار الإسلام السريع بصورة عجيبة خلال القرون الأولى من تاريخه.

إن الإسلام حضارة أعطت مفهوما خاصا للفرد، وحددت بدقة مكانه فى المجتمع، وقدمت عددا من الحقائق الأولية التى تحكم العلاقات بين الشعوب.

من المفيد أن نسجل الى أى مدى يؤثر مفهوم معين للعالم والايمان بمصير عالمى للإنسانية، فى طبع السلوك اليومى لملايين الأنفس من البشر. ولا يمكن لأى طريقة مثلى (أيديولوجية) معاصرة أن تدعى

منافسة الإسلام فى هذا الصدد.

وهكذا، نعثر على حجر الزاوية فى النظام الأخلاقى والشرعى الإسلامى، وهو العدل. إن الإسلام نظام حياة.

مارسيل بوازار

❑ لقد وجدت الدول المسيحية نفسها تواجه التحدى من حضارة شرقية جديدة تأسست على دين شرقى جديد.

وهكذا انتشرت الحضارة الإسلامية، وساهم فيها (الكثيرون) ليقدموا جميعا العصر الرائع للآداب والفنون الإسلامية، التى مكنت شعوب الإسلام من السيادة الفكرية للعالم طيلة أربعة قرون، بينما كان العقل الأوربى غارقا فى قيعان الجهل والكسل.

هربرت فيشر

الفتوحات الإسلامية

❑ جاء تغيير الحكام لمسيحيى الشرق بالراحة والسرور، فهاهو ميخائيل السورى بطريرك انطاكية يكتب: إن اله الإنتقام قد أنهض أولاد اسماعيل من الجنوب، ليخلصنا من أيدى الرومان.

ستيفن رنسيمان

❑ ماكان الفاتحون فى حاجة الى بذل مجهود كبير لكسب مهتدين الى الإسلام. فعلى العكس من ذلك، كان نجاحهم فى الحكم متوقفا الى حد كبير على سياستهم الحكيمة فى التسامح التى مارسوها تجاه اليهود والمسيحيين.

هربرت فيشر

❑ إن عمليات الدخول فى الإسلام قد حدثت بوجه عام بينما كانت القوة العسكرية والثقافية للامبراطورية الإسلامية قد ضعفت.

مارسيل بوازار

الغرب عاش على تشويه الإسلام

❑ لقد ألصقنا بالقرآن ما لانهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق.

إن مؤلفينا لم يجدوا صعوبة تذكر فى جعل نسائنا تقف فى صفهم. لقد أقنعوهن بان محمدا لم يعتبرهن ضمن الحيوانات الذكية، وأنهن جميعا اماء وفق شريعة القرآن.. ومن الواضح أن كل هذا كذب وبطلان اعتقدوا فيه بكل قوة.

أيها الجهلة الأغبياءالذين خدعهم جهلة آخرون، إذ أقنعوكم بان الديانة المحمدية ديانة شهوانية ولذات جسدية، بينما هى ليست شيئا من ذلك.

فولتيـــــر

❑ إن الغرب المسيحى أو الذى فقد مسيحيته، لم يعرف الإسلام أبدا. فمنذ أن ظهر على المسرح العالمى، والمسيحيون لا يكفون عن اختلاق الأكاذيب حوله وتحقيره من أجل إيجاد المبررات اللازمة لقتاله. لقد الحقت بالإسلام صور مشوهة كثيرة لاتزال آثارها منطبعة بعمق فى العقلية الأوربية الى اليوم.

ويجب الاعتراف بان الدراسات الاستشراقية فى الغرب لم تكن

مستوحاة أبدا من روح النزاهة العلمية الخالصة. ولا يمكن إنكار أن بعض المتخصصين فى الدراسات الإسلامية والعربية قد قاموا بأبحاثهم بهدف واضح هو تحقير الإسلام والمسلمين.

روچيه دى باسكيه

الإسلام والسياسة

❑ لقد اشتمل الدين الجديد، منذ البداية على قدر كبير من السياسة.

هربرت فيشر

❑ إن الإسلام منذ بدايته وهو مرتبط بممارسة السلطة السياسية.

والذى حدث أن جماعة المسلمين بالمدينة كوّنت أيضا دولة، ثم كان على الأحداث التى تعقب ذلك أن تجعل منها نواة لامبراطورية.

إن الفصل بين السلطتين (الدينية والزمنية) غير موجود على الإطلاق فى الإسلام.. فى روما كان قيصر هو الله. وفى المسيحية تقاسم قيصر والله المسيحية. أما فى الإسلام فالله هو قيصر.

برنارد لويس

❑ فى الإسلام، لايمكن فهم السياسة بعيدا عن الدين..

إن المعاهدة التى عقدها محمد لدى وصوله الى المدينة.. أمكن إعتبارها «أول دستور مكتوب فى العالم». فالقسم الأول منها يرسخ الإخاء الإسلامى وينشئ كيانا سياسيا واضحا، يضم قبائل المدينة العربية الاثنتى عشرة ومهاجرى مكة. بينما ينشئ القسم الثانى «تحالفا عسكريا» مع قبائلها اليهودية العشر. أما احكام «الدستور» الرئيسية التى وحدت بين

سكان غير متجانسين، وخلقت جنين الدولة الإسلامية فكانت كالآتى: تبقى الجماعات القبلية على حالها لكنها تتضامن من أجل إنشاء تنظيم سياسى موحدة.

مارسيل بوازار

الحكومة الإسلامية

❑ بالنسبة للمسلم، فإن الله هو قيصر. ولن يعترف بأى مصدر آخر للسلطة سوى الله.

وإذا كانت المهمة الروحية قد انتهت (بوفاة النبى) فلا تزال هناك مهمة دينية أخرى يجب تحقيقها، ألا وهى الحفاظ على الشريعة الإلهية والدفاع عنها... ولقد تطلب إنجاز مثل هذا العمل ممارسة قوة سياسية، أو باختصار ممارسة سيادة داخل دولة.

برنارد لويس

❑ يمثل محمد الحكومة المركزية التى تتمتع بامتيازين أساسيين هما: صلاحية إعلان الحرب أو إقرار السلم، والإحتفاظ بحق إصدار الأحكام القضائية النهائية.

لم يكن محمد حاكما مستبدا (اوتوقراطيا)، لأن الله كان هو المصدر الوحيد للسلطة، سواء بالنسبة لرئيس الجماعة أو لأعضائها.

إن السيادة حسب المصطلح الغربى تعنى سلطة وحيدة لا يعلى عليها. وفى العقيدة الإسلامية، فإن الله هو المصدر الأسمى لهذى السيادة، والتعبير عن إرادته ماثل فى القرآن. وليس للنبى وخلفائه والرؤساء

السياسيين أى سلطة إلا بالتفويض. ولما كانت الشريعة مفروضة على الجميع، فإن كل مؤمن هو خليفة الله فى الأرض، وأولوا الأمر فى المجالين الروحى والزمنى (الدينى والدنيوى) لا يملكون سلطة مطلقة، وإنما هم فى خدمة الجماعة لتنفيذ أحكام الشريعة.

إن هذه الدولة، مهما يكن شأنها، لا يمكن أن تمثل حكومة دينية (ثيوقراطية)، كما زعموا ذلك فى أكثر الأحيان بغير حق فى الغرب.

إن المصطلح ذاته (حكومة دينية) فيه مفارقة. فالخليفة ليس رئيسا دينيا. وفوق هذا لم يحدث أبدا ان حكمت المجتمع الإسلامى طبقة كهنوتية لسبب واضح هو أن الكنيسة مؤسسة غريبة عن الإسلام.

لقد بينت التجربة التاريخية أن العالم الإسلامى عرف من الطغيان والاضطهاد والظلم أقل قليلا مما عرفته نظم الحكم الأخرى.

فالحكومة الإسلامية ليست حكومة «دينية» حيث أن صلاحيتها الوحيدة هى تطبيق أحكام الشريعة الموحى بها.

مارسيل بوازار

المستقبل للإسلام

❑ لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا فى أوربا الغد، كما أنه بدأ يكون مقبولا فى أوربا اليوم.

چورچ برنارد شو

❑ من المؤكد أن الإسلام منافس قوى فى مجال إعطاء النظام الأساسى للدين الوحيد الذى يسود فى المستقبل.

مونتجومرى وات

❑ من المسلَّم به حاليا وبوجه عام، أنه بينما تتراجع الديانات الكبرى أو على الأقل تتخذ موقف الدفاع، فإن الإسلام ذاته فى تقدم.

روچيه دى باسكيه

الإسلام هو الحل

❑ إنه الدين الوحيد الذى يبدو لى أنه يمتلك القدره على استيعاب تغير أطوار الحياة بما يجعله محل إعجاب لكل العصور.

چورچ برنارد شو

❑ إذا قدر أن يحل التعاون يوما ما محل التعارض القائم بين المجتمعات الكبيرة فى الشرق والغرب، فإن وساطة الإسلام تصبح شرطا لا غنى عنه، إذ يكمن بين يديه، إلى حد كبير، حل المشكلة التى تواجه أوربا فى علاقتها بالشرق.

هاملتون جب

❑ إن الإسلام بأبعاده الأفقية والرأسية، قادر على عمل توافق قوى بين الإنسان والكون المحيط به وكذلك بين الإنسان والإله خالق كل شئ ومبدعه. إن الإسلام عالمى بكل معنى الكلمة.

فمهما حدث فى العالم الغربى المزدهر وفاسد الأخلاق، أو حدث للشعوب التى تعانى من فقر المستلزمات المادية للحياة مثل تلك التى يطلق عليها «العالم الثالث»، فإن الإسلام يقدم الحل الأكثر وضوحا وجوهرية وحتمية، من أجل مواجهة التحدى الحديث.

وبالنسبة لهؤلاء الذين يعتنقون الإسلام ويطبقونه عمليا، فإنه يقدم لهم

العلاج الأكثر فعالية وشفاء من شرور هذا العصر.

روچيه دى باسكيه

❑ لقد عرف الإسلام بمحافظته على العقيدة، كيف يقاوم تحطيم جماعته السياسية. ولم يكن الإسلام منذ ظهوره وتحت إدارة النبى إلا ثوريا معتدلا على المستوى الإجتماعى. فهناك تكليف مفروض بالتكافل والتضامن على جميع أعضاء الجماعة المسلمة، من أجل تأمين الرخاء والكرامة لجميع الأفراد فى حدود الإمكانات المتاحة. ويمثل هذا مظهرا متمما لطابع الجماعة المسلمة وشيئا تتميز به مبادئ الأخلاق التى طبعها الوحى القرآنى.

ولقد أقام الإسلام نظاما إقتصاديا مرتكزا على الأخلاق، وذلك بتنظيم توزيع الدخل عن طريق نظام ضريبى مقدس هو الزكاة، وبادخال مفهوم جديد للملكيةالخاصة التى ليست فى كلمة موجزة سوى حق انتفاع بالنعم التى أفاءها الله على الإنسان. وبذلك حقق الإسلام، من وجهة نظر خاصة، الجمع بين قيمتى رأس المال والعمل.

مارسيل بوازار

وختاما، يقول الحق فى القرآن العظيم:

❑ ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا. فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما ﴾(١)

❑ ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾(٢)

❑ ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون ﴾(٣)

❑ ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ﴾(٤)

صدق الله العظيم

---

(١) النساء: ١٧٤ـ١٧٥ (٢) يونس: ٥٧

(٣) النحل: ٩٠ (٤) النحل: ٩٧

قائمة المراجع

- Steven Runciman: A History of the Crusades, 1 ; Cambridge Universty Press, Pelican Books, 1971
- Herbert Fisher: A History of Europe, Vol 1, The Fontana Library, London, 1946
- Edward Gibbon: The Decline and Fall of the Raman Empire; an abridgement by D.M. Low, Penguin Books, London, 1963
- Bernard Lewis (etd'autres): L'Islam d'Hier à Aujourd'hui, Elsevier Bordas, Paris, 1981
- DICTIONNAIRE PHILOSOPHIQUE; OEUVRES COMPLETS DE VOLTAIRE, Tome VII, VIII; M DCCC XXXVI(1836); A PARIS, CHES FURNE; LIBRAIRE-EDITEUR, QUAI DES AUGUSTIN, No 59
- Marcel Boisard: L'Humanisne de L'Islam, Albin Michel, Paris, 1979
- Roger du Pasquier: Decouverte de L'Islam, Editions des Trois Continents; Genève.
- Lisbeth Rocher et Fatima Cherqaoui: D'une Foi l'autre, Seuil, Paris, 1986
- Philippe Sénac: L'Image de L'Autre, Flammarion, Paris, 1983

http://kotob.has.it

□ الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا ـ تأليف چوزيف رينو تعريب د. اسماعيل العربى ـ دار الحداثة للطباعة والنشر ـ بيروت
□ إنسانية الإسلام: تأليف مارسيل بوازار ـ ترجمة الدكتور عفيف دمشقية ـ منشورات دار الآداب ـ بيروت
□ المستشرقون: تأليف نجيب العقيقى ـ الناشر: دار المعارف ـ القاهرة
□ الإسلام فى تصورات الغرب: تأليف دكتور محمود حمدى زقزوق الناشر: مكتبة وهبه ـ القاهرة
□ الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ـ تأليف الدكتور محمد البهى ـ الناشر: مكتبة وهبة ـ القاهرة
□ فتح العرب لمصر ـ تأليف الفريد بتلر ـ تعريب محمد فريد أبو حديد الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة.
□ أزمة الفكر الإسلامى المعاصر ـ تأليف دكتور محمد عمارة ـ الناشر: دار الشرق الأوسط للنشر ـ القاهرة.
□ الإسلام والخلافة فى العصر الحديث ـ تأليف الدكتور محمد ضياء الدين الريس ـ الناشر: دار التراث ـ القاهرة.
□ الإسلام وأصول الحكم ـ تأليف على عبد الرازق ـ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة.
□ مجلة رسالة الإسلام ـ تصدر عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة.

فهرس

مقدمـــــــة ٥

نظرات إجمالية ١٥

مرجليـــــــوث ١٧

مونتجومـرى وات ١٩

ادوارد مونتيـــــه ٢٠

چورچ برنارد شو ٢٢

هاملتون جـــب ٢٣

نظرات تفصيلية ٢٥

هربرت فيشـــــر ٢٧

ستيفن رنســيمان ٣٠

ادوارد چيبـــــون ٣٥

مايكل هـــــارت ٤٠

برنـــــارد لويس ٤٥

ڤولتيـــــــــر ٥٠

روچيه دى باسكيه ٥٧

مارسيـــــل بوازار ٦٦

الذين تراجعوا عن الباطل ٨٧

قضية ڤولتير: أباطيـــل ڤولتير ـ تراجـــع ڤولتير ٨٩

قضية على عبدالرازق: أباطيل على عبد الرازق ـ ملاحظات على كتاب الإسلام وأصول الحكم ـ تراجع على عبدالرازق ٩٣

خلاصـــــة ١٢٥

قائمة المراجع ١٣٩

http://kotob.has.it

كتب للمؤلف

- ❑ العلوم الذرية فى التراث الإسلامى.
- ❑ المسيـــــح: فى مصادر العقائد المسيحية.
- ❑ الوحى والملائكة: فى اليهودية والمسيحية والإسلام.
- ❑ النبوة والأنبيـاء: فى اليهودية والمسيحية والإسلام.
- ❑ طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون.
- ❑ إعجاز النظام القرآنى.
- ❑ حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر.
- ❑ اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس.
- ❑ تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة: فى اليهودية والمسيحية والإسلام.
- ❑ التغريب: طوفان من الغرب.
- ❑ رسالة من التوراة الى مؤتمر السلام.
- ❑ الإسلام والأديان الأخرى: نقاط الإتفاق والاختلاف

http://kotob.has.it

❊ بالانجليزية ❊

- ❑ THE CHRIST as seen in the sources of the Christian Beliefs.
- ❑ THE CRUCIFIXION and THE RESURRECTION.

❊ بالفرنسية ❊

- ❑ DIALOGUE TRANSTEXTUEL entre le christianisme et L'Islam; Edition du Centre Abaâd, 6 rue Baudin, 93400 Saint Ouen, PARIS.
- ❑ LA CRUCIFIXION et LA RESURRECTION.
- ❑ LA SITUATION de LA FEMME dans le Judaisme, le Christianisme et L'Islam; A.E.I.F. Editions, 23 rue Boyer Barret, 75014 PARIS.

❊ بالاسبانية ❊

- ❑ La Mujer en El Judaismo, El Cristianismo y El Islam.
- ❑ DIALOGO ISLAMO CRISTIANO; Asociacion Musulmana; Anastasio Herrero 7, 28020 MADRID.

رقم الايداع : ٥٩٢١ \ ٩٣
الرقم الدولي : ٧-١٢٥-٢٦٠-٩٧٧
طبع بدار نوبار للطباعة

http://kotob.has.it

هذا الكتاب

لقد دأب الغرب على الطعن فى الإسلام ونبيه. وتعرضت سيرة خاتم النبيين للتشويه والمفتريات. وهذا تحقيق لنبوءة القرآن فى قول الحق: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾.

وهذا الكتاب يعرض مقالات لبعض العلماء والمفكرين والمستشرقين، يمكن اعتبارها نماذج لتطور الفكر الغربى فى الإسلام خلال القرنين الأخيرين. ومن أمثلة ذلك:

«ان عقيدة محمد خالية من الشك أو الغموض، والقرآن شهادة مجيدة على وحدانية الله. لقد ألصقنا بالقرآن ما لا نهاية له من السفاهات التى لم تكن به على الإطلاق».

فولتيـــــر

«ان الجماعة المسلمة لم تنشئ ابدا، لا نظريا ولا عمليا، حكومة دينية (ثيوقراطية) كما زعموا ذلك فى أكثر الأحيان بغير حق فى الغرب. ان المصطلح ذاته (حكومة دينية) فيه مفارقة. فالخليفة ليس رئيسا دينيا. وفوق هذا لم يحدث ابدا ان حكمت المجتمع الإسلامى طبقة كهنوتية لسبب واضح وهو ان الكنيسة مؤسسة غريبة عن الإسلام».

مارسيل بوازار

ان كثيرا من القضايا المطروحة على الساحة فى البلاد الإسلامية الآن سبق أن ناقشها كثير من علماء الغرب ومفكريه. ولعله من المفيد للقراء أن يلموا بما يقال فى هذه القضايا.

مكتبة التراث الإسلامى
ت: ٣٩١١٣٩٧ ـ ٣٩٢٥٦٧٧ ـ فاكس: ٣٩١٣٤٠٦

http://kotob.has.it

بسم الله الرحمن الرحيم

تم تحميل الملف من

مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الاديان

The Guided Islamic Library for Comparative Religion

http://kotob.has.it

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة إسلامية مختصة بكتب الاستشراق والتنصير ومقارنة الاديان.

PDF books about Islam, Christianity, Judaism, Orientalism & Comparative Religion.

لاتنسونا من صالح الدعاء

Make Du’a for us.